۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

قال ألم أقل لك : أي قال خَضِرٌ لموسى عليهما السلام .

بعدها : أي بعد هذه المرة .

فلا تصاحبني : أي لا تتركني أتبعك .

من لدني عذراً : أي من قبلي (جهتي) عذراً في عدم مصاحبتي لك .

أهل قرية : مدينة أنطاكية .

استطعما أهلها : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف .

يريد أن ينقض : أي قارب السقوط لميلانه .

فأقامه : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط .

أجرا : أي جعلا على إقامته وإصلاحه .

هذا فراق بيني وبينك : أي قولك هذا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية المفارقة .

بتأويل : أي تفسير ماكنت تنكره على حسب علمك .

معنى الآيات :

مازال السياق في محاورة الخضر مع موسى عليهما السلام، فقد تقدم إنكار موسى على

الخضر قتله الغلام بغير نفس، ولا جرم إرتكبه، وبالغ موسى في إنكاره إلى أن قال: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾[1] فأجابه خَضِرٌ بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لما سألتني الصحبة للتعليم، فأجاب موسى بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي اترك صحبتي فإنك ﴿قد بلغت من لدني﴾[2] أي من جهتي وقبلي عذرا في تركك إياي.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ في سفرهما ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ (أي مدينة) قيل إنها انطاكية ووصلاها في الليل والجو بارد فاستطعما أهلها أي طلبا منهم طعام الضيف الواجب له ﴿فأبوا أن يضيفوهما[3]، فوجدا فيها﴾ أي في القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يسقط فأقامه الخضر وأصلحه فقال موسى له: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ أي جعل مقابل إصلاحه، لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقنا من الضيافة. وهنا قال الخضر لموسى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ لانك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل الغلام عن شيء أن لاتطلب صحبتي وها أنت قد سألتني، فهذا وقت[4] فراقك إذاً ﴿سأنبئك﴾ أي أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب الوفاء بما التزم به الإنسان لآخر.

٢ ـ وجوب الضيافة لمن استحقها.

٣ ـ جواز التبرع بأي خير أو عمل إبتغاء وجه الله تعالى.

---

(١) اختلف في أيهما أبلغ: إمرا أو نكراً، ورجّح بعضهم أن إمراً فيما لم يحدث من فعل منكر فيكون خاصاً بالمستقبل، ومعناه: أمر فظيع مهيل ونكراً: يكون فيما وقع فهو بيّن الفساد بالغ في النكر واجب الإنكار.

(٢) قرىء: ﴿من لدني﴾ بتخفيف الدال وقرىء في السبع بتشديدها وقرىء عذراً بسكون الذال وقرىء في السبع أيضاً بضمهما، وضمّ العين قبلها كنُذُر ونُذْر.

(٣) في الحديث: (إنهم كانوا لئاماً بخلاء) وهو تعليل لعدم استضافة موسى والخضر.

(٤) في البخاري: هنا قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما).

أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾

شـرح الكلـمات :

المساكين : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يعملون في البحر : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

أعيبها : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها.

غصباً : أي قهراً.

أن يرهقهما طغياناً وكفراً : أي يغشاهما : ظلما وجحوداً

وأقرب رحما : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى واحد.

وما فعلته عن أمري : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي جل جلاله و عظم سلطانه.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث موسى والخضر عليهما السلام، فقد واعد الخضر موسى عندما أعلن له عن فراقـه أن يبين له تأويل مالم يستطع عليه صبراً، وهذا بيانه، قال تعالى (حكاية عن

الخضر) ﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها وأنكرتَ عليَّ ذلك ﴿فكانت لمساكين[1] يعملون في البحر﴾ يؤجرون سفينتهم بما يحصل لهم بعض القوت ﴿فأردت أن أعيبها[2]﴾ لا لأغرق أهلها، ﴿وكان وراءهم[3] ملك[4]﴾ ظالم ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صالحة ﴿غصباً﴾ أي قهراً وإنما أردت أن أبقيها لهم إذ الملك المذكور لا يأخذ إلا السفن الصالحة ﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلتُ وأنكرتَ عليَّ قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ إن كبر ﴿أن يرهقهما[5]﴾ أي يُغشيهما ﴿طغياً وكفراً فأردنا أن يبدلهما[6] ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي طهراً وصلاحاً ﴿وأقرب رحماً[7]﴾ أي رحمة وبراً بهما فلذا قتلته، ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي سن الرشد ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من[8] ربك﴾ أي كان ذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن إرادتي وإختياري بل كان بأمر ربي وتعليمه. ﴿ذلك﴾ أي هذا ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات :

١ - بيان ضروب من خفي ألطاف الله تعالى فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وإن كان ظاهره ضاراً.

٢ - بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه بما ظاهره عذاب ولكن في باطنه رحمة.

٣ - مراعاة صلاح الأباء في إصلاح حال الأبناء.

---

(١) بهذه الآية استدل من قال من الفقهاء بأنّ المسكين أقلّ فقراً من الفقير لأنّ من ملك سفينة لا يعتبر فقيراً، وردّ هذا بأنّ أصحاب السفينة كانوا سبعة أفراد، وخمسة منهم زمنى ورثوا السفينة من أبيهم وبذا هم فقراء مساكين.

(٢) أعيبها: أي أجعلها ذات عيب، يقال: عبت الشيء فعاب أي: صار ذا عيب فهو معيب.

(٣) جائز أن يكون الوراء على حقيقته أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام، ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿وكان أمامهم ملك﴾.

(٤) قيل: اسم الملك هو هدد بن بدد، واسم الغلام المقتول: جيسور.

(٥) وفسّر أيضاً: يجشمهما ويحملهما على الرهق وهو الجهل والمعنى: أنه يحملهما حبه على الغلو فيه فيطغيان ويكفران.

(٦) الرحم والرحمة بمعنى واحد قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية ومنها اللّين والرُّحم

(٧) قيل: اسم الغلامين: أصرم وصريم، وكان الكنز ذهباً وفضة لحديث الترمذي عن أبي الدرداء، وشاهده من اللغة فإنّ الكنز: المال المدفون المدّخر، وجائز أن يكون مع المال كتاب فيه علم.

(٨) تسطع وتستطيع بمعنى

٤ ـ كل ما أتاه الخضر كان بوحي إلهي وليس هو مما يدعيه جُهال الناس ويسمونه بالعلم اللَّدني وأضافوه إلى من يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن الخضر قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

شـرح الكلمات :

ويسألونك : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

ذي القرنين : الإسكندر باني الاسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التبابعة وكان عبداً صالحاً.

سأتلوا عليكم منه ذكراً	: سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلمًا.
مكنا له في الأرض	: بالحكم والتصرف في ممالكها.
من كل شيء سببا	: أي يحتاج إليه سبباً موصلا إلى مراده.
فأتبع سببا	: أي فأتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده.
تغرب في عين حمئة	: ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.
قوماً	: أي كافرين.
عذاباً نكرا	: أي عظيما فظيعا.
يسرا	: أي ليناً من القول سَهْلا من العمل.
مطلع الشمس	: أي مكاناً تطلع منه.
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا	: القوم هم الزُنْج ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها.
كذلك	: أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا.
بين السدين	: السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك سد ذو القرنين مابينهما فقيل فيهما سدان.
قوماً لايكادون يفقهون قولا	: لايفهمون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

معنى الآيـات :

هذه قصة العبد الصالح ذي القرنين الحمْيَري التُبعي على الراجح من أقوال العلماء، وهو الأسكندر باني الأسكندرية المصرية، ولأمر ما لقّب بذي القرنين[1]، وكان قد تضمن سؤال قريش النبي ﷺ بإيعاذ من يهود المدينة ذا القرنين إذ قالوا لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فإن أجابكم عنها فإنه نبي، وإلا فهو غير نبي فَرَوْا رأيكم فيه فكان الجواب عن الروح في سورة الإسراء وعن الفتية وذي القرنين في سورة الكهف هذه وقد تقدم

(١) اختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال هي: عبدالله أو الاسكندر أو عبّاس أو جابر، كما اختلفوا في تلقيبه بذي القرنين على عشرة أقوال أمثلها أنه ملك فارس والروم أو أنه كان له ضفيرتانمن شعر رأسه فلقب لذلك بذي القرنين، واختلف في نبوته، والظاهر أنه كان نبيًا يوحى إليه وكان ملكاً حاكماً.

الحديث التفصيلي عن أصحاب الكهف في أول السورة وهذا بدء الحديث المتضمن للإجابة عن الملك ذي القرنين عليه السلام قال تعالى: ﴿ويسألونك﴾ يانبينا ﴿عن ذي القرنين قل﴾ للسائلين من مشركي قريش ﴿سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾[1] أي سأقرأ عليكم من أمره وشأنه العظيم ذكراً خبراً يحمل الموعظة والعلم والمعرفة: وقوله تعالى: ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. ﴾ هذه بداية الحديث عنه فأخبر تعالى أنه مكن له في الأرض بالملك والسلطان، وأعطاه من كل شيء يحتاج إليه في فتحه الأرض ونشر العدل والخير فيها سبباً يوصله إلى ذلك، وقوله ﴿فأتبع سبباً﴾[2] حسب سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبرة وتابع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع المسلة، وهكذا تابعه بين أسباب الغزو والفتح والسير في الأرض ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي على ساحل المحيط الأطلنطي، وكونها تغرب فيها هو بحسب رأي العين، وإلا فالشمس في السماء والعين الحمئة[3] والمحيط إلى جنبها في الأرض وقوله تعالى: ﴿ووجد عندها﴾ أي عند تلك العين في ذلك الإقليم المغربي ﴿قوماً﴾ أي كافرين غير مسلمين فأذن الله تعالى له في التحكم والتصرف فيهم إذ يسر له أسباب الغلبة عليهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ وقد يكون نبياً ويكون قوله الله تعالى هذا له وحياً وهو ﴿إما أن تعذب﴾ بالأسر والقتل، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ وهذا بعد حربهم والتغلب عليهم فأجاب ذو القرنين ربه بما أخبر تعالى به: ﴿أما من ظلم﴾[4] أي بالشرك والكفر ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل والأسر، ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد موته ﴿فيعذبه عذاباً نكرا﴾ أي فظيعاً أليما. ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً﴾ أي أسلم وحسن اسلامه ﴿فله جزاء﴾[5] على إيمانه وصالح أعماله ﴿الحسنى﴾ أي الجنة في الآخرة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ فلا نغلظ له في

---

(١) ﴿ذكراً﴾ أي: خيراً يتضمن ذكره.

(٢) أصل: السبب: الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصّل إلى فتح البلاد وقهر الأعداء وقرىء فأتبع سببا بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة فاتّبع سببا بهمزة وصل وتشديد التاء.

(٣) قرأ الجمهور: (حمئة) من الحمأة أي كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود وقرأ بعضهم حامية أي: حارة وجائز أن تكون حامية من الحمأة فخففت الهمزة وقلبت ياء.

(٤) أي: قال لأولائك القوم أمّا مَنْ ظلم.. الخ.

(٥) قراءة أهل المدينة (فله جزاءُ الحسنى) برفع جزاء بدون تنوين والحسنى مضاف إليه والخبر تقديره: عند الله. وقرأ غيرهم بنصب جزاء على التمييز أي: فله الحسنى جزاءً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية.

القول ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه.

وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدمه في مواصلة الغزو والفتح في المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس[1] وجدها تطلع على قوم[2]﴾ بدائيين لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضر فلذا هم لايبنون الدور ولا يلبسون الثياب، ولكن يسكنون الكهوف والمغارات والسراديب وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي الشمس ﴿سترا﴾. وقوله تعالى: ﴿كذلك[3]﴾ أي القول الذي قلنا والوصف الذي وصفنا لك من حال ذي القرنين ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من قوة وأسباب مادية وروحية ﴿خبرا﴾ أي علمًا كاملا. وقوله تعالى: ﴿ثم أتبع﴾ أي ذو القرنين ﴿سببا﴾ أي واصل طريقه في الغزو والفتح ﴿حتى إذا بلغ بين السدين[4]﴾ وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض بنى ذو القرنين بينهما سداً عظيما حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم، وهم القوم الذين قال تعالى عنهم ﴿وجد من دونهما[5] قوماً لايكادون يفقهون قولاً﴾ فلا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به إلا بشدة وبطء كبير.

هـداية الآيات :

من هـداية الآيات :

١ ـ تقرير نبوة النبي محمد ﷺ إذ هذا جواب آخر أسئلة قريش الثلاثة. قرأه عليهم قرآنا موحى به إليه.

٢ ـ إتباع السبب السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات.

٣ ـ قول: ذو القرنين: ﴿أما من ظلم..... الخ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه، ومن الأسف أن

---

(١) المطلع: يجوز فيه كسر الميم وفتحها مثل المنسك والمجزر والمسكن والمنبت هذه يجوز فيها وجهان الكسر والفتح في ميمها.

(٢) قال صاحب النوير: والظاهر أنه بلغ ساحل اليابان في حدود منشوريا أو كوريا شرقاً.

(٣) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٤) قرأ حفص بفتح السين، وقرأ نافع بضمها، ونظير السد في الفتح والضم الضعف والضعف والفر والقر.

(٥) قوله: من دونهما يعني أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات، وأهل الإيمان والإستقامة مهانين!!

٤ ـ بيان وجود أمم بدائية إلى عهد ما بعد ذي القرنين لايلبسون ثيابا ولا يسكنون سوى الكهوف والمغارات ويوجد في البلاد الكينية إلى الآن قبائل لايرتدون الثياب، وإنما يضعون على فروجهم خيوط وسيور لاغير.

٥ ـ تقرير أن هذا الملك الصالح قد ملك الأرض فهو أحد أربعة[1] حكموا الناس شرقاً وغرباً.

قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ
سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ
وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ
قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي
حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ
سَمۡعًا ﴿١٠١﴾

---

(١) هم: مسلمان وهما ذو القرنين وسليمان عليهما السلام، وكافران وهما: النمرود وبختنصر. كذا قيل والله أعلم.

شــرح الكلمـات :

يأجوج ومأجوج : قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم.

نجعل لك خرجاً : أي جعلاً مقابل العمل.

ســـداً : السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين.

ردْمــاً : حاجزاً حصيناً وهوالسد.

زبر الحديد : جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها.

بين الصدفين : أي صدف الجبلين أي جانبها.

قطرا : القطر النحاس المذاب.

فما اسطاعوا أن يظهروه : أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته.

نقبـــا : أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا معها.

جعله دكـــا : أي تراباً مساوياً للأرض.

وتركنا بعضهم : أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون ويجيئون في اضطراب كموج البحر.

أعينهم في غطاء عن ذكري : أي عن القرآن لايفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضا له أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لاتبصر الحق ولا تعرفه.

لايستطيعون سمعاً : لبغضهم للحق والداعي إليه.

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث ذي القرنين إذْ شكا إليه سكان المنطقة الشمالية الشرقية من الأرض، بما أخبر تعالى به عنهم إذ قال: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج[1] ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي بالقتل والأكل والتدمير والتخريب، ﴿فهل نجعل لك خرجاً[2]﴾ أي أجرا ﴿على

(١) يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان يهمزان ولا يهمزان ولذا قرىء في السبع بهما وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام ورد وصفهم أن صنفاً منهم يفرش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات منهم أكلوه مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، وذلك يوم يفتح سدهم ويهدم، وخروجهم من أشراط الساعة الكبرى.

(٢) الخرج والخراج: لغتان، وقيل الخرج: ما يعطى تطوعاً والخراج: ما يلزم عطاؤه والمراد به هنا الأجر مقابل العمل المطلوب من إقامة السدّ.

أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ أي حاجزاً قوياً لايصلون معه إلينا. فأجابهم ذو القرنين بما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿قال ما مكني فيه ربي﴾ من المال القوة والسلطان ﴿خير﴾ أي من جعلكم وخرجكم ﴿فأعينوني[1] بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً[2]﴾ أي أي سداً قوياً وحاجزاً مانعاً ﴿آتوني زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد كل قطعة كاللَّبِنَة المضروبة، فجاءوا به إليه فأخذ يضع الحجارة وزبر الحديد ويبْني حتى ارتفع البناء فساوى بين الصدفين جانبي الجبلين، وقال لهم ﴿انفخوا﴾ أي النار على الحديد ﴿حتى إذا جعله نارا﴾ قال آتوني بالنحاس المذاب أفرغ عليه قطرا[3] فأتوه به فأفرغ عليه من القطر ما جعله كأنه صفيحة واحدة من نحاس ﴿فما اسطاعوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ أي يعلوا فوقه، ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي خرقا فلما نظر إليه وهو جبل شامخ وحصن حصين قال هذا من رحمة ربي أي من أثر رحمة ربي عليَّ وعلى الناس وأردف قائلا ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ وهو خروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ﴿جعله دكا﴾ أي تراباً مساويا للأرض، ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ وهذا مما وعد به وانه كائن لامحالة قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ أي مختلطين مضطربين إنسهم[4] وجنهم ﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة البعث ﴿فجمعناهم﴾ للحساب والجزاء ﴿جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ حقيقياً يشاهدونها فيه من قرب، ثم ذكر ذنب الكافرين وعلة عرضهم على النار فقال: وقوله الحق: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ أي أعين قلوبهم وهي البصائر فلذا هم لاينظرون في آيات الله الكونية فيستدلون بها علىٰ وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، ولا في آيات الله القرآنية فيهتدون بها إلى أنه لا إله إلا الله ويعبدونه بما تضمنته الآيات القرآنية، ﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾ للحق ولما يدعوا إليه رسل الله من الهدى والمعروف.

---

(١) القوة: الرجال والمال.

(٢) الردم أعظم من السدّ.

(٣) جائز أن يكون المراد بالقطر النحاس المذاب وهذا الظاهر، وجائز أن يكون الحديد المذاب والثالث: أنه الصفر والرابع أنه الرصاص. روى أحمد عن النبي ﷺ ما خلاصته أنّ يأجوج ومأجوج يحفران يومياً السدّ حتى إذا كادوا يخرقونه يقولون غداً نتم حفره وإذا جاء الغد حفروا ولم يقولوا إن شاء الله حتى إذا جاء وعد الله قالوا: إن شاء الله ففتح لهم.

(٤) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: يأجوج ومأجوج وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال .

٢ ـ فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي

٣ ـ مشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر .

٤ ـ تقرير وجود أمة يأجوج ومأجوج ، وأن خروجهم من أشراط الساعة .

٥ ـ تقرير البعث والجزاء .

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ
أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

شـــرح الكلمـــات :

أفحسب الذين كفروا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ .

أن يتخذوا عبادي : كالملائكة وعيسى بن مريم والعزير وغيرهم .

أولياء : أرباباً يعبدوهم بأنواع من العبادات .

نزلا : النزل : مايعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه .

ضل سعيهم : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به .

يحسنون صنعا : أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء .

بآيات ربهم : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية .

ولقائه : أي كفروا بالبعث والجزاء .

وزناً : أي لانجعل لهم قدراً ولا قيمة بل نزدريهم ونذلهم .

ذلك : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك، لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل لا خير فيه ولا وزن له فحسن أن يشار إليه بذلك.

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المشركين شركهم ويوبخهم مقرعاً لهم على ظنهم أن اتخاذهم عبادَه[1] من دونه أولياء يعبدونهم كالملائكة حيث عبدهم بعض العرب والمسيح حيث عبده النصارى، والعزير حيث عبده بعض اليهود، لايغضبه تعالى ولايعاقبهم عليه. وكيف لايغضبه ولايعاقبهم عليه وقد أعد جهنم للكافرين نزلا أي دار ضيافة لهم فيها طعامهم وفيها شرابهم وفيها فراشهم كما قال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٢) وهي قوله تعالى ﴿أفحسب[2] الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء[3]. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠٣) يخبر تعالى بأسلوب الاستفهام للتشويق للخبر فيقول ﴿قل هل ننبئكم﴾ أيها المؤمنون ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ إنهم ﴿الذين ضل سعيهم[4] في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا، ويعرفهم فيقول ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ فلم يؤمنوا بها، وبلقاء ربهم فلم يعملوا العمل الذي يرضيه عنهم ويسعدهم به وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله لعباده المؤمنين به يتقربون به إليه. فلذلك حبطت أعمالهم لأنها شرك وكفر وشر وفساد، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[5]﴾ إذ لا قيمة لهم ولا لأعمالهم الشركية الفاسدة الباطلة فإن أحدهم لايزن جناح بعوضة لخفته.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلى عبادتهم.

(٢) قرىء: (أفحسب) بإسكان السين وضم الباء أي. أفيكفيهم ان يتخذوهم أولياء؟

(٣) جواب الاستفهام محذوف تقديره: كلا بل هم أعداء يتبرؤن منهم وجائز أن يكون: ولا أغضب ولا أعاقبهم، وكلا المعنيين يراد.

(٤) يدخل في هذا كل من المشركين واليهود والنصارى والحرورية والمراءون بأعمالهم، وكل من يعمل الأعمال، وهو يظن أنه محسن وقد حبطت أعماله لفساد اعتقاده ولمراءاته أو لعمله بغير ما شرع الله كأنواع البدع المكفّرة.

(٥) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.

وأخيراً أعلن تعالى عن حكمه فيهم وعليهم فقال ﴿ذلك﴾[1] أي المذكور من غثاء الخلق ﴿جزاؤهم جهنم.﴾ وعلل للحكم فقال: ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات ربهم وبرسله فكان الحكم عادلاً، والجزاء موافقاً والحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير شرك من يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة يعبدوهم تحت شعار التقرب إلى الله تعالى والاستشفاع بهم والتوسل إلى الله تعالى بحبهم والتقرب إليهم.

٢ ـ تقرير هلاك أصحاب الأهواء الذين يعبدون الله تعالى بغير ماشرع ويتوسلون إليه بغير ماجعله وسيلة لرضاه وجنته. كالخوارج والرهبان من النصارى والمبتدعة الروافض والإسماعيلية، والنصيرية والدروز ومن إليهم من غلاة المبتدعة في العقائد والعبادات والأحكام الشرعية.

٣ ـ لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه، وإن مات خوفا من الله أو شوقاً إليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

---

(١) وجائز أن تكون الإشارة بذلك إلى ترك الوزن وخسة القدر والخبر: جزاؤهم جهنم. و(جهنم) بدل من (جزاؤهم) بدلا مطابقاً فيه زيادة توكيد.

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

كانت لهم	: أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح .
الفردوس نزلاً	: هو وسط الجنة وأعلاها ونزلاً منزل إكرام وإنعام .
لا يبغون عنها حولا	: أي لا يطلبون تحولاً منها لأنها لا خير منها أبداً .
لو كان البحر	: أي ماؤه مداداً .
قبل أن تنفد كلمات ربي	: أي قبل أن تفرغ .
لنفد البحر	: أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ .
يرجو لقاء ربه	: يأمل وينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقى ربه تعالى .
ولا يشرك بعبادة ربه أحدا	: أي لا يرائي بعمله أحدا ولا يشرك في عبادة الله تعالى غيره تعالى .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الشرك والأهواء وأنه جهنم ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان والتقوى التي هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله، ووعده لأوليائه، ووعيده لأعدائه من أهل الشرك والمعاصي، وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض والواجبات وسارعوا في النوافل والخيرات هؤلاء ﴿كانت لهم﴾ في علم الله وحكمه ﴿جنات الفردوس[1]﴾ أي بساتين الفردوس منزلا ينزلونه ودار كرامة يكرمون فيها وينعمون، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها قال رسول الله ﷺ واصفاً لها ومرغبا فيها وقد ارتادها وانتهى إلى مستوى فوقها ليلة الإسراء والمعراج قال: «إن سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى، ومنه تفجر أنهار الجنة»، كما في الصحيح[2]، وقوله تعالى ﴿خالدين فيها لا يبغون

(١) روى الشيخان من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين ان ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن).

(٢) وروى البخاري وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس).

عنها حولا﴾ أي ماكثين فيها أبداً لا يطلبون متحولاً عنها إذ نعيمها لا يمل وسعادتها لاتنقص، وصفْوها لايكدر وسرورها لاينغص بموت ولا بمرض ولا نصب ولا تعب جعلني الله ومن قال أمين من أهلها. آمين. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر[1] مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ تضمنت هذه الآية رداً على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى ﴿وماأوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم. فقالوا: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مداداً الآية رداً عليهم وإبطالاً لمزاعمهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعي العلم الذي مافوقه علم بأنه لو كان ماء البحر مدادا وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلماً، وكتب بهما لنفد ماء البحر وأغصان الشجر ولم تنفد كلمات ربي التي تحمل العلوم والمعارف الإلهية وتدل عليها وتهدي إليها فسبحان الله وبحمده، سبحانه الله العظيم سبحان الله الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قدير. وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر[2] مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾. يأمر تعالى رسوله بأن يقول للمشركين الذين يطلبون منه المعجزات كالتي أوتى موسى وعيسى: إنما أنا بشر مثلكم لا أقدر على ما لاتقدرون عليه أنتم، والفرق بيننا هو أنه يوحى إلي الأمر من ربي وأنتم لا يوحى إليكم يوحى إلي أنما إلهكم أي معبودكم الحق وربكم الصدق هو إله واحد الله ربكم ورب آبائكم الأولين. وقوله ﴿فمن[3] كان يرجو[4]﴾ أي يأمل وينتظر ﴿لقاء ربه﴾ خوفاً منه وطمعاً فيه ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ وهو مؤمن موقن، ﴿ولايشرك[5] بعبادة ربه أحداً﴾ فإن الشرك محبط للعمل مبطل له، وبهذا يكون رجاءه صادقاً وانتظاره صالحاً صائباً.

---

(١) المداد في أوّل الآية والمداد في آخرها بمعنى واحد واشتقاقها لا يختلف.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما علّم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرّ على نفسه بأنّه آدميّ كغيره إلاّ أنه أكرم بالوحي.

(٣) روي في سبب نزول هذه الآية ما يلي: أتى جندب بن زهير الغامدي رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إني أعمل لله تعالى فإذا اطلع عليه سرّني فقال رسول الله ﷺ: إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا ولا يقبل ما روئي فيه. فنزلت هذه الآية.

(٤) فسر ﴿يرجو﴾ بمعنى: يأمل وبمعنى يخاف وكلاهما مطلوب الخوف من الله ومن عذاب الآخرة، والأمل في فضل الله وإحسانه وثوابه في الدنيا والآخرة.

(٥) فسّر سعيد بن جبير رحمه الله ﴿ولا يشرك﴾ بأن لا يرائي. وهو صحيح ولفظ الشرك أعم من الرياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ ـ بيان أفضل الجنان وهو الفردوس الأعلى .

٣ ـ علم الله غير متناهي لأن كلماته غير متناهية .

٤ ـ تقرير صفة الكلام لله تعالى .

٥ ـ تقرير بشرية النبي ﷺ وأنه ليس روحاً ولا نوراً فحسب كما يقول الغلاة الباطنية .

٦ ـ تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .

٧ ـ تقرير أن الرياء شرك لما ورد أن الآية نزلت في بيان حكم المرء يجاهد[(١)] يريد وجه الله ويرغب أن يرى مكانه بين الناس ، يصلي ويصوم ويحب أن يثنى عليه بذلك .

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكية

وآياتها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

(١) قال ابن عباس وطاووس . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يُرى مكاني فنزلت هذه الآية وجائز تعدد النزول من أجل أن يجاب السائل بنفس الآية التي كانت جواباً لسؤال مماثل .

شـرح الكلمـات :

كَهيَعَص[1] : هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص وتُقرأ كاف، هاء يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك.

نادى ربه : أي قال: يارب ليسأله الولد.

نداءً خفيا : أي سر بعداً عن الرياء.

وهن العظم مني : أي رق وضعف لكبر سني

واشتعل الرأس شيبا : أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

ولم أكن بدعائك رب شقيا : أي إنـك لم تخيبني فيها دعوتك فيه قبل فلا تخيبني اليوم فيما أدعوك فيه.

وإني خفت الموالي : أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي.

إمرأتي عاقراً : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فهب لي من لدنك وليا : أي ارزقني من عندك ولداً.

ويرث من آل يعقوب : أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

واجعله رب رضيا : أي مرضياً عندك.

سميا : أي مسمى يحيى.

معنى الآيات :

أما قوله تعالى: كَهيَعَص[2] فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول: ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده به.

وأما قوله تعالى: ﴿ ذكر[3] رحمة ربك عبده زكريا﴾ فإن معناه: مما تتلو[4] عليك في هذا القرآن يانبينا

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الكاف من كافٍ والهاء من هادٍ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وعن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم للسورة وقيل: هي اسم الله الأعظم، وكان علي يقول: يا كهيعص اغفر لي.

(٢) كهيعص: هذه حروف هجاء مكتوبة بمسمياتها مقروءة بأسمائها.

(٣) (ذكر) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا ذكر رحمة ربك وعبده: منصوب بالمصدر الذي هو ذكر.

(٤) بناء على أن ذكر رحمة ربك: خبر والمبتدأ محذوف فإنه يصح تقديره. هذا ذكر وذكر رحمة ربك، وهذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك.

فيكـون دليلاً على نبـوتـك ذكـر رحمـة ربـك التي رحم بهـا عبـده زكـريا حيث كبرت سنـه ، وامرأته عاقر لايولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لايوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً إلى أن الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة إلى السوء فنادى[1] ربه نداء خفيا قائلا : ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ أي رق وضعف ، ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أي شاب شعر رأسي لكبر سني ، ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتني الاستجابة لما أدعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتي .﴿وإني﴾ ياربي قد ﴿خفت[2] الموالي﴾ أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بما شرعت وحدك لا شريك لك ، وذلك بعد موتي ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي من عندك تفضلا به علي إذ الأسباب غير متوفرة للولد : المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم ، ﴿ولياً﴾ أي ولداً يلي أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها ﴿ويرث[3] من آل يعقوب﴾ جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم إبراهيم وهي الحنيفية عبادة الله وحده لا شريك له ﴿واجعله رب رضيا﴾ أي واجعل الولد الذي تهبني ياربي ﴿رضيا﴾ أي عبداً صالحا ترضاه لحمل رسالة الدعوة إليك ، فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله : ﴿يازكريا[4] إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى[5] ، لم نجعل له من قبل سميا﴾ أي من سمي باسمه يحيى قط .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام .

٢ ـ استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة .

---

(١) النداء هنا : الدعاء والرغبة إلى الله تعالى ، وفيه استحباب دعاء السرّ والمناجاة الخفية ، وقد أسرّ مالك القنوت وجهر به الشافعي لأنّ الرسول ﷺ جهر به .

(٢) الموالي هنا : الأقارب وبنوا العم والعصبة الذين يلونه في النسب لأنّ العرب تسمّي بني العم موالي قال شاعرهم :

مهلا بني عمّنا مهلا موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(٣) المراد من الإرث هو : إرثه في دعوته لأنّ مواليه كانوا مهملين للدّين والدعوة فخاف ضياع ذلك فسأل ربه ولداً يقوم بذلك ، أمّا المال فإنّ الأنبياء لا يورثون وما يتركونه فهو صدقة .

(٤) في الكلام حذف تقديره : فاستجاب الله دعاءه فقال : يا زكريا . . الخ .

(٥) تضمنت هذه البشرى ثلاثة أمور : أحدها : إجابة دعائه وهي كرامة . الثاني : إعطاؤه الولد وهو قوّة له ، والثالث : إفراده بتسمية لم يسمّ بها أحد قبله ، قيل في قوله : ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد ﷺ .

٣ ـ وجود العقم في بعض النساء.

٤ ـ قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها.

٥ ـ تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير[1] وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات:

أنى يكون لي غلام؟: أي من أي وجهٍ وَجِهَةٍ يكون لي ولد.

عتيا: أي يبست مفاصلي وعظامي.

آية: أي علامة تدلني على حمل امرأتي

سويا: أي حال كونك سويَّ الخَلْقِ مابك عليه خرس.

(١) والدينار والدرهم.

من المحراب[1] : المصلى الذي يصلى فيه وهو المسجد.

فأوحى إليهم : أومأ إليهم وأشار عليهم.

وآتيناه الحكم صبيا : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وحنانا من لدنا : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا.

وزكاة : أي طهارة من الذنوب والآثام.

جبارا عصياً : أي متعاليا لايقبل الحق عصياً لايطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه.

وسلام عليه : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم يولد، وأمان له من فتاني القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر رحمة الله عبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى بيحيى قال: ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا﴾[2] أي من أي وجه وجهة يأتيني الولد أمن إمرأة غير امرأتي، أم منها ولكن تهبني قوة على مباضعتها[3] وتجعل رحمها قادرة على العلوق[4]، لأني كما تعلم ياربي قد بلغت من الكبر حداً يبس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امرأتي عاقر لايولد لها. فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عز وجل: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت يازكريا، ولكن ﴿قال ربك هو على هين﴾ أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لاصعوبة فيه ويدلك على ذلك أني ﴿قد خلقتك من[5] قبل ولم تك شيئا﴾، فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئا فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بأن يجعل له علامة تدله على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امرأته بالولد وهي أنه يصبح يوم بداية الحمل لايقدر على الكلام

(١) المحراب: مكان مرتفع، ومن هنا كره مالك ان يصلي الإمام في مكان أرفع من المكان الذي يصلي فيه الناس وراءه خشية الكبر عليه، والكبر من كبائر الذنوب ولم يكره أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) قرأ نافع (عُتيا) بضم أوله كما: بُكيًا وصليًا، وبكسرها قرأ حفص، والعتي: هو قحول العظم ويبوسته.

(٣) أي: جماعها من إدخال البضع في البضع.

(٤) أي: علوق النطفة في الرحم.

(٥) أي: فخلق الولد كخلقك.

وهو سوي البدن مابه خرس ولا مرض يمنعه من الكلام، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي المصلى الذي يصلي فيه ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أومأ وأشار[1] إليهم ﴿أن سبحوا[2] بكرة وعشياً[3]﴾ أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح. وهنا علم بحمل امرأته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل. وقوله تعالى: ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوراة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله ﴿وآتيناه الحكم[4] صبيا﴾ أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام. وقوله تعالى: ﴿وحناناً من[5] لدنا وزكاة وكان تقياً﴾ أي ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً كما أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغيرهما من المسلمين وقوله ﴿وزكاة﴾ أي طهارة من الذنوب باستعمال بدنه في طاعة ربه عز وجل ﴿وكان تقياً﴾ أي خائفاً من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام.

وقوله تعالى: ﴿وبرا بوالديه﴾ أي محسناً بهما مطيعاً لهما لا يؤذيهما أدنى أذى وقوله ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله: ﴿وسلام عليه يوم[6] ولد﴾ أي أمان له من الشيطان يوم ولد، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه، اللهم أمنا كما أمنته فإنك ذو فضل عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد، كسؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى.

(١) أو كتب إليهم كتابة.
(٢) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة لأنه لم يقدر على الكلام إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.
(٣) بكرة وعشيا ظرفان في الصباح والمساء.
(٤) يروى أنه قال له الأولاد: هيا بنا نلعب فقال لهم: ما للعب خلقت، فهذا مما أوتيه من الحكم صبيًا.
(٥) الحنان: التعطف والترحم وأصله من حنين الناقة إلى فصيلها، ويقال: حنانك وحنانيك وهما بمعنى واحد. قال طرفة:
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهو من بعض
(٦) وجائز أن يكون المراد بالسلام هنا: التحية منه تعالى وهي أشرف من غيرها.

٢ ـ جواز طلب العلامات الدالة على الشيء للمعرفة .

٣ ـ آية عجيبة أن يصبح زكريا لايتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط .

٤ ـ فضل التسبيح في الصباح والمساء .

٥ ـ وجوب أخذ القرآن بجد وحزم قراءة وحفظاً وعملاً بما فيه .

٦ ـ صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ماقبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبياً .

٧ ـ وجوب البر بالوالدين ورحمتهما والحنان عليهما والتواضع لهما .

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾

شـــرح الكلمـات :

واذكر في الكتاب : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها .

مريم : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام .

إذ انتبذت : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها .

شـرقيا : أي شرق الدار التي بها أهلها .

حجابا : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذويها .

روحنا : جبريل عليه السلام .

بشرا سوياً : أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا تروع منه.

إن كنت تقياً : أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعد عني ولا تؤذني.

غلاما زكيا : ولداً طاهراً لم يتلوث بذنب قط.

ولم يمسسني بشر : أي لم أتزوج.

ولم أك بغياً : أي زانية.

قال كذلك : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.

هو على هين : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد.

ولنجعله آية للناس : أي على عظيم قدرتنا.

ورحمة منا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ماجاء به.

أمراً مقضياً : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتمًا لامحالة.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿واذكر في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿مريم﴾ أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إذ انتبذت﴾ أي اعتزلت ﴿من أهلها﴾ هذا بداية القصة وقوله ﴿مكاناً شرقياً﴾ أي موضعا شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في ذلك إلا الابتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي من دون أهلها ﴿حجاباً﴾ ساتراً لها عن أعينهم[1]، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلها، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء. فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب[2] لك غلاماً زكيا﴾ إي طاهراً لايتلوث بذنب قط. فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله: ﴿أنى يكون لي

---

(١) قيل: استترت عن أهلها لتغتسل من حيضتها وتمتشط، وذلك لكمال حيائها.

(٢) قرأ ورش عن نافع: (ليهب) بالياء بغير همزة، وقرأ غيره: (لأهب) بالهمزة فعلى قراءة نافع المعنى: أرسلني ليهب لك، وعلى قراءة غيره أرسلني يقول لك أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

غلام﴾أي من أي وجه يأتيني الولد، ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي وأنا لم أتزوج، ﴿ولم أكِ بغيا﴾[1] أي ولم أك زانية، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال: ﴿هو علي هين﴾ أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح، لأنه هين علينا من جهة، ﴿ولنجعله[2] آية للناس﴾ دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم، والبعث الآخر من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿رحمة منا وكان أمراً مقضياً[3]﴾ أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك أمراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به كما سيأتي بيانه في الآيات التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان شرف مريم وكرامتها على ربها.

٢ ـ فضيلة العفة والحياء.

٣ ـ كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم.

٤ ـ مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف من إنسان أو جان.

٥ ـ التقوى[4] مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم.

٦ ـ خلق عيسى آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة.

---

(١) لم تقل بغيّة لأنه وصف يغلب على النساء فقلّما تقول العرب رجل بغي فجرى بغيا مجرى حائض وعاقر، وقيل هو فعيل بمعنى فاعل والأوّل أولى.

(٢) (ولنجعله) متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله.

(٣) أي: مقدرا في اللوح المحفوظ كتاب المقادير العام.

(٤) بخلاف الفجور فإنه مصدر كل ضرّ وشرّ.

۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾
فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾

شـــرح الكلمات :

فانتبذت به : فاعتزلت به .

مكاناً قصيا : أي بعيداً من أهلها .

فأجاءها المخاض : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة .

إلى جذع النخلة : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .

نسياً منسياً : أي شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر .

فناداها من تحتها : أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته .

تحتك سريا : أي نهراً يقا له سري .

رطبا جنيا : الرطب الجني : ماطاب وصلح للإجتناء .

فكلي واشربي : أي كل من الرطب واشربي من السري .

وقري عينا : أي وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .

نذرت للرحمن صوماً : أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درْعها أو جيب قميصها فحملته[1] فوراً ﴿وانتبذت به مكاناً قصياً﴾ أي فاعتزلت به في مكان بعيد[2] ﴿فأجاءها المخاض[3]﴾ أي ألجأها وجع النفاس ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمد عليه وهي تعاني من آلام الطلق وأوجاعه، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به: ﴿قالت ياليتني[4] مت قبل هذا﴾ أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد، ﴿وكنت نسياً منسيا[5]﴾ أي شيئاً متروكا لايذكر ولا يعرف وهنا ﴿فنادها﴾ عيسى[6] عليه السلام ﴿من تحتها ألا تحزني﴾ يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى: ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أي نهر ماء يقال له سري، ﴿وهزىء إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وقري عينا﴾ أي طيبي نفسا وافرحي بولدك، ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكلميه واكتفي بقولك ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ هذا كله من قول عيسى لها أنطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلاّ أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأنّ الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل: ﴿فحملته فانتبذت به﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) انتحت بالحمل إلى مكان بعيد قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وادي بيت لحم بينه وبين إيلياء أربعة أميال وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها بالولادة من غير أب.

(٣) يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا: اضطره وألجأه.

(٤) تمني الموت لا يجوز لحديث: (لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به) الحديث وتمنّته مريم عليها السلام لا لصالح نفسها ولكن لله تعالى، وذلك أنها خافت أن يظنّ بها الشرّ في دينها وتُعَيّر فتفتن بذلك، وهذا لله، وثانيا خافت أن يقع بعض الناس في البهتان والنسبة إلى الزنى فيهلكون. وهذا أيضاً لله لا لها.

(٥) النسي: الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يُتألم لفقده كالوتد والحبل ونحوهما، ويجمع النسي على أنساء قال الكميت رضي الله عنه:

أتجعلنا جسرا لكب قضاعة   ولست بنسي في معدّ ولا دخل

والنسي أيضاً: خرق الحيض التي ترمى بدمها من الحيض.

(٦) قرأ نافع (مِن) بكسر الميم حرف جر، وقرأ حفص مَن بفتحها، اسم موصول والمراد بالموصول عيسى عليه السلام ناداها قبل أن ترضعه من تحتها تعجيلا للمسرة والبشرى لها به فأنْ في ألا تحزني تفسيرية لأنّ النداء قول.

هداية الايات

من هداية الآيات :

١ ـ من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار.

٢ ـ إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه.

٣ ـ تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لايمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب[1] الجني إذ هذا في استطاعتها.

٤ ـ مشروعية النذر إلا أنه بالامتناع[2] عن الكلام منسوخ في الإسلام.

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

---

(١) قالت العلماء: أكل الرطب للنفساء من أنفع الأغذية لها نظراً إلى أنّ الله تعالى اختاره لمريم عليها السلام.

(٢) قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ فسر الصوم بالصمت كما في التفسير وأولى من هذا أن يكون صوم النذر في دينهم مستلزماً للصمت وعدم الكلام، والسياق دالّ عليه ظاهر فيه، وما زال النصارى يعتبرون الصمت عبادة فيصمتون دقائق على أرواح موتاهم ونسخ الإسلام هذا كما في الصحيح حيث امر من نذر ان لايتكلم أن يتكلم، ومن سنن الهدى في الاسلام الامتناع عن الكلام القبيح في الصيام لحديث الصحيح: (إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرىء قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم) وهو كقول مريم: ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسيًّا﴾..

شـــرح الكلمـات :

فأتت به	: أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام .
جئت شيئاً فريا[1]	: أي عظيما حيث أتيت بولد من غير أب .
يا أخت هارون	: أي يا أخت الرجل الصالح هارون .
امرأ سوء	: أي رجلاً يأتي الفواحش .
فأشارت إليه	: أي إلى عيسى وهو في المهد .
آتاني الكتاب	: أي الإنجيل باعتبار مايكون مستقبلاً .
مباركا أينما كنت	: أي حيثما وجدت كانت البركة فيّ ومعي ينتفع الناس بي .
وبرا بوالدتي	: أي محسناً بها مطيعاً لها لاينالها مني أدنى أذى .
جباراً شقيا	: ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها : إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأتت به قومها وَما ان رأوها حتى قال قائلهم : ﴿يامريم لقد جئت شيئاً فريا﴾ أي أمرا عظيما وهو إتيانك بولد من غير أب . ﴿ياأخت هارون﴾[2] نسبوها إلى عبد صالح يسمى هارون : ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سوء﴾ يأتي الفواحش ﴿وما كانت أمك﴾ «حنة» ﴿بغيا﴾ أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة . وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق ، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال لها ما ذكر تعالى في الآيات السابقة .

---

(١) (فريًا) : أي : مختلقاً مفتعلاً من الافتراء الذي هو الكذب يقال : فرى وأفرى : كذب ومن كراماتها أن امرأة مدّت لها يدها لتضرّبها أصيبت بالشلل الفوري فحملت كذلك وقالت لها : اخرى ما أراك إلاّ زنيت فأخرسها الله فوراً فصارت لا تتكلم ومن ثمّ الانوا لها الكلام واحترموها .

(٢) من الجائز ان يكون لمريم أخ صالح من أبيها أو من أبويها نسبوها إليه ومن الجائز أن تنسب إلى هارون الرسول عليه السلام كقول العرب يا أخا تميم ويا أخا العرب ، وما في التفسير إجمال يشمل الكلّ فتأمّل ، وفي الآية دليل على جواز التسمية بالأنبياء والصالحين ، ولا خلاف فى ذلك .

فردوا عليها مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها: ﴿كيف نكلم من كان[1] في المهد صبيا؟﴾ فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿قال إني[2] عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً[3] بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا[4]﴾ فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئا كان عبداً لله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله إلى بني إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبته وخدمته والإيمان به وبمحبته وكان مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتيا ولا جباراً عصياً. فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن في قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر، ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام.

٢ ـ آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات.

٣ ـ وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما.

٤ ـ التنديد بالتعالى والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ

(١) كان: هنا زائدة للتوكيد، ومن: مبتدأ والخبر في المهد وصبياً: حال من الموصول.

(٢) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى: ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا ردّ على الذين ألّهوه وعبدوه من دون الله تعالى.

(٣) البرّ: بمعنى البار وخص بهذه الصفة لأنّ قومهم قل فيهم البرور بالوالدين وكثر فيهم العقوق نظراً إلى فشو الباطل فيهم ورقة حبل الدين بينهم، والجبّار: المتكبر على الناس الغليظ في معاملتهم، والشقي ضدّ السعيد.

(٤) لما قال ما قال في المهد: إني عبدالله.. إلى قوله: ﴿ويوم أبعث حيًا﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

شـــرح الكلمـات :

ذلك عيسى ابن مريم : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم.

قول الحق : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به.

يمترون : يشكون.

ما كان لله أن يتخذ من ولد : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

سبحانه : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير.

صراط مستقيم : أي طريق مستقيم لايضل سالكه.

فاختلف الأحزاب : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى هو الله وابن الله تعالى الله عما يصفون.

من مشهد يوم عظيم : هو يوم القيامة.

أسمع بهم وأبصر : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب.

وأنذرهم يوم الحسرة : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما يشاهدون أهل الجنة قد ورثوا منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم.

معنى الآيـات :

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حمله وأنها وضعته تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لاتحزني، وأرشدها إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه فعلا فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركا وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وأنه بر بوالدته، ولم يكن جباراً شقياً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول الحق الذي فيه يمترون﴾ [١] أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وانه ساحر وقال النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ماعداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [٢]. وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزيها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [٣]. [٤] هذا من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم

---

(١) قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأمّا النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.

(٢) في هذا ردّ على النصارى القائلين بأن المكوّن بأمر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلاّ ابن الله تعالى فبيّنت الآية أنّ أصول الموجودات كلها كانت بأمر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟! والجواب قطعاً لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنّه كان بكلمة التكوين.

(٣) جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدّم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.

(٤) نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجمل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأوّل: ﴿إني عبدالله﴾ وبين قوله: ﴿وإنّ الله ربّي وربكم﴾.

أن الله تعالى هو ربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولايعبدون معه غيره إذ لا إله لهم إلا هو سبحانه وتعالى، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكه إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والضلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى في الآية (٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾[١] أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا بها فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال ﴿فويل للذين كفروا﴾ بنسبتهم الولد والشريك لله، والويل واد في جهنم فهم إذا داخلوها لا محالة، وقوله ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لايقادر قدرها.

وقوله تعالى في الآية(٣٨) ﴿أسمع[٢] بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لايريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدوا ويعبدوا، والمتصاممين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى مايكون أبصاراً وسمعا، ولكن حين لاينفعهم سمع ولا بصر، وقوله تعالى: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يخبر تعالى أن أهل الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه.

وقوله تعالى في آية (٣٩) ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة[٣] إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون﴾ يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة، والمشركون يرثون منازل

---

(١) (من): زائدة واختلاف الأحزاب، وجهه: أن اليهود قادحون والنصارى مادحون، فاليهود قالوا: ساحر وابن زنية، والنصارى فرقة: قالت هو الله وأخرى قالت: ابن الله، وثالثة قالت: ثالث ثلاثة، وهذه الفرق هي الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية ثم تشعبت وأشهرها الآن: الملكانية أي الكاثوليك واليعقوبية: أي أرثذوكسر والاعتراضية أي: البروتستانت.

(٢) هذا الكلام ظاهر أنه أمر لحمل السامع على التعجب من حال المذكورين، ومعناه الخبر أي: لا أحد أسمع منهم ولا أبصر يوم يقفون في عرصات القيامة، ويشاهدون الناروبسمعون زفيرها.

(٣) روي في مسند أحمد وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنّه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرونه ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح. قال. ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة..﴾ الآية.

الموحدين في النار، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادِ ياأهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار خلود فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ عما حكم عليهم به من الخلود في نار جهنم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم. وقوله تعالى: ﴿إنا نحن[1] نرث الأرض ومن عليها، وإلينا يرجعون﴾ يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوما سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بما كتبت أيديهم ويجزيهم به، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس كما قال اليهود، ولا كما قالت النصارى.

٢ ـ استحالة اتخاذ الله الولد وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

٣ ـ تقرير التوحيد على لسان عيسى عليه السلام.

٤ ـ الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام.

٥ ـ بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به.

٦ ـ تقرير فناء الدنيا، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم.

وَٱذْكُرْ
فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ

(١) هذه الجملة ذيّل بها الكلام السابق فتمت به القصة وضمير (نحن) للتأكيد والأرض: المراد بها ما فيها من غير العقلاء (ومن عليها) المراد بهم العقلاء وهم البشر.

إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

شـرح الكلمـات :

اذكر في الكتاب : أي في القرآن.

إنه كان صديقا : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه.

يا أبت : ياأبي وهو آزر.

صراطا سويا : أي طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة.

لاتعبد الشيطان : أي لاتطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام.

عصيـا : أي عاصياً لله تعالى فاسقا عن أمره.

فتكون للشيطان وليا : أي قريباً منه قرينا له فيها أي النار.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ يانبينا ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿إبراهيم﴾ خليلنا ﴿إنه كان صديقا﴾ أي صادقا في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيما في الصدق ﴿نبيا﴾ من أنبيائنا فهو جدير بالذكر في القرآن ليكون قدوة صالحة للمؤمنين. واذكره ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿ياأبت لم تعبد﴾[1] أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات مالايسمع ولايبصر من الأصنام أي لايبصرك ولايسمعك ﴿ولايغني عنك شيئا﴾ لايدفع عنك ضراً ولا يجلب لك نفعا فأي حاجة لك إلى عبادته ﴿ياأبت إني قد جاءني من العلم﴾[2] أي من قبل ربي تعالى ﴿مالم يأتك﴾ أنت ﴿فاتبعني﴾ فيما أعتقده وأعمله وأدعو إليه ﴿أهدك صراطا سويا﴾[3] أي مستقيما يفضي

---

(١) الاستفهام للإنكار أي: لأيّ شيء تعبد.

(٢) أي: من اليقين والمعرفة بالله وبما يكون بعد الموت، وأنّ من عبد غير الله يعذّب ابداً.

(٣) أرشدك إلى دين قيّم فيه نجاتك وسعادتك.

بك إلى السعادة والنجاة، ﴿ياأبت لاتعبد الشيطان﴾ أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لاتسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنع، ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا[1]﴾ أي عاصيا أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره. ﴿ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن[2]﴾ إن أنت بقيت على شركك وكفرك ولم تتب منهما حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن ﴿فتكون﴾ أي بذلك ﴿للشيطان ولياً﴾ أي قريباً منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد بالدعوة إليه.

٢ ـ كمال إبراهيم بذكره في الكتاب.

٣ ـ بطلان عبادة غير الله تعالى.

٤ ـ عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير الله تعتبر عبادة للشيطان لأنه الآمر بها والداعي إليها.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّى عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

(١) الجملة تعليلية للنهي عن عبادة الشيطان واتباع وسوسته وما يدعو إليه من الشرك.
(٢) أي: إني أخاف أن تموت على الكفر فيمسك العذاب الأليم.

شـرح الكلمـات

لئن لم تنته : أي عن التعرض لها وعيبها .

لأرجمنك : بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرني .

واهجرني مليا[١] : أي سليما من عقوبتي

سلام عليك : أي أمنةٌ مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني .

إنه كان بي حفيا : أي لطيفاً بي مكرماً لي يجيبني لما أدعوه له .

عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا : بل يجيب دعائي ويعطني مسألتي .

فلما اعتزلهم : بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم .

وهبنا له اسحق ويعقوب : أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه .

ووهبنا لهم من رحمتنا : خيراً كثيراً المال والولد بعد النبوة والعلم .

لسان صدق عليا : أي رفيعاً بأن يُثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر إنه بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر راداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديدوهي ما أخبر به تعالى عنه في قوله: في الآية (٤٦) ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أكاره لها تعيبها، ﴿لئن لم تنتـه﴾ أي عن التعـرض لها بأي سوء[٢] ﴿لأرجمـنك﴾ بأبشـع الألفـاظ وأقبحها، ﴿واهجـرني مليا﴾[٣] أي وابعـد عني مادمت معـافى سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ماتكره. كان هذا رد آزر الكافر المشرك. فيما أجاب ابراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (٤٧) ﴿قال سلامٌ[٤] عليك[٥]﴾ أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك

---

(١) ﴿واهجرني مليا﴾ أي: اتركني وشأني وابعد عنّي طويلا تسلم من عقوبتي.

(٢) أي: كعيبها وشتمها.

(٣) وقيل في معناه: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، وقيل: اهجرني طويلا.

(٤) هذا يسمى سلام المتاركة، وليس هو بالتحية وهل يجوز بدء الكافر بالسلام؟ في المسألة خلاف، والراجح: جواز السلام إذا كان لغرض سليم ككونه جاراً لك أو رفيقاً أو مصاحباً لك في عمل أو لك إليه حاجة وما إلى ذلك إذ سلم الرسول ﷺ على جماعة فيهم مشركون كما في الصحيح، وأمّا حديث: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) فهو إذا لم يكن هناك غرض صحيح.

(٥) (سلام): نكرة وصح الابتداء بها لما فيها من معنى التخصيص فقاربت لذلك المعرفة وصحّ الابتداء بها. وعليك الخبر.

فيما كرهت مني قط وسأقابل إساءتك بإحسان ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك ﴿إنه كان﴾ سبحانه وتعالى ﴿بي حفيا﴾ لطيفا بي مكرما لي لا يخيبني فيما أدعوه فيه.

وقوله تعالى حكاية عن قيل ابراهيم: ﴿واعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾ أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان، ﴿وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾[1] أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام. قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ماواعدهم به من هجرته لديارهم إلى ديار القدس تاركاً أباه وأهله وداره كافأناه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا رسولا، ووهبنا لجميعهم وهم ثلاثة الوالد ابراهيم وولداه اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب﴾ وهو ابن ولده إسحق ﴿وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا﴾. وقوله تعالى عنهم ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث جعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الأديان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء وأحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظى به إبراهيم وولديه إكراما من الله تعالى وإنعاما عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان الفرق بين مايخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام، وبين مايخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفظاظة الكلام.

٢ ـ مشروعية سلام المتاركة والموادعة وهو أن يقال للسيء من الناس سلام عليك وهو لا يريد

---

(١) أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلاً وولداً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال، وفي قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم﴾ وهنا له دليل يرجح هذا القول. والله أعلم.

بذلك تحيته ولكن تركه وماهو فيه.

٣ - مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض.

٤ - الترغيب في حسن الأحدوثة بأن يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل ومايورث من خير وإفضال.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾

شـــرح الكلمـات:

واذكر في الكتاب: أي في القرآن تشريفا وتعظيما.

موسى : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام.

مخلصا : أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام «مخلَصاً» وموحداً لربه مفردا اياه بعبادته بالغا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام.

جانب الطور : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.

وقربناه نجيا : أي أدنيناه إدناء تشريف وتكريم مناجياً لنا مكلما من قبلنا.

أخاه هارون نبيا: إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبَّأهُ وأرسله معه إلى فرعون.

معنى الآيات:

هذا موجز قصة موسى عليه السلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ ﴿واذكر﴾ في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى: ﴿إنه كان مخلصا﴾ أي مختاراً مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ماخلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالسنتهم وقلوبهم وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون مَن سوانا، وكان موسى كذلك، وقوله تعالى: ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له أن جعلناه نبياً رسولا نبأناه

وأرسلناه إلى فرعون وملائه، ﴿وناديناه﴾[1] وهو في طريقه من مدين إلى مصر في جانب الطور الأيمن[2] حيث نبأناه وأرسلناه وبذلك ﴿وقـربنـاه نجيا﴾ فصار يناجينا فنُسمعه كلامنا ونسمع[3] كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم، وقوله: ﴿ووهبنا له من[4] رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل معه أخاه هارون إلى فرعون فبرحمة من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولا وماكان هذا إلا برحمة خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والضراعة إذ هي هبة إلهية خاصة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ فضيلة الإخلاص، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً.

٢ ـ إثبات صفة الكلام والمناجاة لله تعالى.

٣ ـ بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه مالم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً.

٤ ـ تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولا.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(١) قيل: كان هذا الكلام والمناجاة ليلة الجمعة. ذكره القرطبي.

(٢) هو بالنسبة إلى يمين موسى عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال «ابن جرير الطبري».

(٣) أي: من غير وحي بل كفاحاً وجهاً لوجه بلا واسطة.

(٤) وذلك حين سأل ربه قائلا: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ الآية.

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

شــرح الكلمـات :

واذكر في الكتاب اسماعيل : أي اذكر في القرآن تشريفا وتعظيما اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام .

صادق الوعـــد : لم يخلف وعد قط .

بالصلاة والزكاة : أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

مرضيا : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه .

إدريس : هو جد أبي نوح عليه السلام .

ورفعناه مكاناً عليا : إلى السماء الرابعة .

إسرائيل : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

وممن هدينا واجتبينا : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا .

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن: أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها .

سجداً وبكيا : جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها وابراهيم وموسى اذكر كذلك اسماعيل[1] فإنه ﴿كان صادق الوعد﴾[2] لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعود الليالي حتى يجيء وهو قائم في مكانه ينتظره، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ نبأه تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها وأرسله إلى قبيلة جرهم العربية ومنها تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد ﷺ وقوله تعالى :

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم والذي أمّه هاجر عليهما السلام ولا التفات إلى قول من قال: إنه إسماعيل بن حزقيل الذي بعثه الله إلى قوم فسلخوا جلد رأسه. الخ كما في القرطبي.

(٢) في الآية دليل على وجوب صدق الوعد وفي الحديث: (إنّ الخُلف من آيات النفاق). وقد انتظر النبي ﷺ ثلاثة أيام وهو مقيم في مكان ينتظر من واعده اللقاء فيه وذلك قبل بعثته ﷺ رواه أبو داود والترمذي، والرجل هو: أبو الحمساء وقال له: يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك!!

﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، وقوله: ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ موجب آخر لإكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومعنى ﴿كان عند ربه مرضيا﴾ أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضيا من[1] قبل ربه عز وجل. وقوله تعالى ﴿و اذكر في الكتاب إدريس﴾[2] وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه ﴿كان صديقا﴾ كثير الصدق مبالغا فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط، وصديقا في أفعاله ومايأتيه فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبيا من أنبياء الله، وقوله ﴿ورفعناه مكاناً عليا﴾ إلى السماء الرابعة[3] في حياته كما رفع تعال عيسى ورفع محمد إلى مافوق السماء السابعة. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ كأدريس[4]، ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي في الفلك كابراهيم، ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ كاسحق واسماعيل، ﴿واسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وممن هدينا﴾ لمعرفتنا وطريقنا الموصل إلى رضانا وذلك بعبادتنا والاخلاص لنا فيها ﴿واجتبينا﴾ لوحينا وحمل رسالتنا. وقوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾[5] أي أولئك الذين هديناهم واجتبينا من اجتبينا منهم. والاجتباء الأختيار والاصطفاء بأخذ الصفوة ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ الحاملة للعظات والعبر والدلائل والحجج ﴿خروا سجدا﴾ لله ربهم ﴿وبكياً﴾ عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه.

---

(١) قيل: إنّ اسماعيل عليه السلام لم يعد شيئا إلاّ وفَى به وهو صحيح يقتضيه ظاهر الآية الكريمة، وقد قيل العِدة دَين، وفي الأثر: وأي المؤمن واجب. والوأي. الوعد. قال الشاعر:

متى يقل حرّ لصاحب حاجة   نعم يقضها والحر للوأي ضامن

وقال مالك: إذا سأل الرجل الرجل شيئا فوعده ثمّ بدا له عدم إنجاز ما وعد لا شيء عليه ولا يقضي عليه بذلك لأنّ العدة بخير من باب الإحسان وليس على المحسنين من سبيل.

(٢) قيل: إنّ إدريس هو أوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

(٣) كما في حديث المعراج في رواية مسلم وجاء فيه: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة.)

(٤) فنال ادريس الشرف بالقرب من آدم، ونال ابراهيم الشرف بالقرب من نوح ونال إسماعيل الشرف واسحق ويعقوب بالقرب من ابراهيم عليهم السلام أجمعين.

(٥) البكيّ: مصدر من مصادر بكى يبكي بكاء وبكىً وبكيًا، ويكون البكي جمع باكٍ نحو: قعود، وقاعد وسجود جمع ساجد وأصل بكي: بكوي على وزن فعول فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة إذ الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لاينكر عليه أن ينبىء محمداً ويرسله.

٢ ـ فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة.

٣ ـ فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل.

٤ ـ سُنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها. ﴿خروا سجدا وبكيا﴾

٥ ـ فضيلة البكاء حال السجود فقدكان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكيُّ يعني البكاء.

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا
(٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا (٦١) لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ
وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (٦٢) تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا (٦٣)

شـــرح الكلمـات :

خلف [1] : أي عقب سوء.

أضاعوا الصلاة : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين.

اتبعوا الشهوات : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر.

يلقون غياً : أي وادياً في جهنم يلقون فيه.

ولايظلمون شيئا : أي لاينقصون شيئا من ثواب حسناتهم.

---

(١) الخلف: بإسكان اللام خلف سوء وبفتحها خلف خير وصلاح.

جنات عدن : أي إقامة دائمة.

بالغيب : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء وهم في الأرض.

مأتياً : أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة.

لغواً : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.

بكرةً وعشياً : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل.

من كان تقياً : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يخبر تعالى عن أولئك الصالحين ممن اجتبى وهدى من النبيين وذرياتهم، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم[1] ﴿أضاعوا الصلاة﴾ فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم من تركها ﴿واتبعوا الشهوات[2]﴾ فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم ﴿فسوف يلقون غياً﴾ بعد دخولهم نار جهنم. والغي: ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم[3]، والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ماتوجد الآبار في الأودية.

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن أي حقق إيمانه وعمل صالحا فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم. فأولئك أي فهؤلاء التائبون المنيبون ﴿يدخلون الجنة﴾ مع سلفهم

---

(١) جائز أن يراد بهذا الخلف السيء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، واتبع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين.

(٢) اتباع الشهوات لازم لإضاعة الصلاة لقول عمر: مَن اضاعها فهو لما سواها أضيع، ولأنّ اقام الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: غيّ: واد فـــي جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعدّ الله تعالى ذلك الوادي للزاني المصرّ على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه ولآكل الربا لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولداً ليس منه.

الصالح، ﴿ولايظلمون شيئا﴾ أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئا من ثواب أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة أبدية ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض.

وقـولـه: ﴿إنـه كان وعـده مأتيا﴾ أي كونهم مارأوها غير ضار لأن ماوعد به الرحمن لايتخلف أبداً لابد من الحصول عليه ومعنى مأتياً يأتيه صاحبه قطعاً.

وقوله تعالى في الآية (٦٢) ﴿لايسمعون فيها لغوا﴾ يخبر تعالى أن أولئك التائبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لايسمعون فيها أي في الجنة لغواً وهو الباطل من القول وما لاخير فيه من الكلام اللهم إلا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم.

وقـولـه تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ أي ولهم طعامهم فيها وهو ماتشتهيه أنفسهم من لذيذ الطعام والشراب ﴿بكرة وعشيا﴾ أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت العشي في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار،[1] وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو العشاء تغير الأنوار من لون إلى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة على وقت الغداء والعشاء.

وقوله تعالى: ﴿تلك الجنة﴾[2] آية (٦٣) يشير تعالى إلى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ منهم، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما أن منزل التقي في النار نورثه فاجراً من الفجار، إذ هذا معنى التوارث: هذا يرث هذا وذاك يرث ذا، إذ ما من إنسان إلا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة ونزل في منزلته، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزله فيها، ويورث الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة.

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ قال: (ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنّما هم في نور أبدا وإنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب). ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، والمهدوي وغيرهما «القرطبي».

(٢) الجملة مستأنفة، واسم الإشارة فيها للتنويه بها وبعلو مقامها وعظم الكرامة فيها لأهل التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات.

٢ ـ الوعيد الشديد لمن ينغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك.

٣ ـ باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب.

٤ ـ بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار.

٥ ـ تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار.

٦ ـ بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء، وأن ورثة النار هم الفجار.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وما نتنزل : التنزل النزول وقتا بعد وقت.

إلا بأمر ربك : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء.

له مابين أيدينا : أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة.

وما خلفنا : أي ما مضى من الدنيا.

وما بين ذلك : مما لم يمض من الدنيا إلى يوم القيامة أي له علم ذلك كله.

وما كان ربك نسيا : أي ذا نسيان فإنه تعالى لاينسى فكيف ينساك ويتركك؟.

رب السموات والأرض : أي مالكهما والمتصرف فيهما.

واصطبر لعبادته : أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت.

هل تعلم له سمياً : أي لاسميَّ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفوا أحد.

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ماروى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد بطء قال له النبي ﷺ مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله تعالى قوله : جوابا لسؤال النبي ﷺ : ﴿ومانتنزل﴾[1] أي نحن الملائكة وقتا بعد وقت على من يشاء ربنا ﴿إلا بأمر ربك﴾ أيها الرسول أي إلا بإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء إلى سماء أو إلى أرض إلا بإذن ربنا عز وجل ،﴿ له ما بين أيدينا وماخلفنا وما بين ذلك﴾ أي له أمر وعلم مابين أيدينا أي ما أمامنا من أمور الآخرة وماخلفنا أي مما مضى من الدنيا علمًا وتدبيراً، وما بين ذلك إلى يوم القيامة علما وتدبيراً، وماكان ربك عز وجل يارسول الله ناسيا[2] لك ولا تاركا فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقـوله تعالى : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه تعالى مالك السموات والأرض ومابينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له وبيده وفي قبضته وعليه ﴿فاعبده﴾ أيها الرسول بما أمرك بعبادته به ﴿واصطبر لعبادته﴾[3] إي تحمل لها المشاق، فإنه لا إله إلا هو، فـ ﴿هل تعلم له سمياً﴾[4] أي نظيراً أو مثيلاً والجواب لا : إذاً فاعبده وحده وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله. فإنه لامعبود بحق إلا هو إذ كل ماعداه مربوب له خاضع لحكمه وتدبيره فيه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير سلطان الله على كل الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

---

(١) روى البخاري أنّ النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت : ﴿وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك﴾ الآية ، وقال مجاهد : أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثمّ أتاه فقال : ما الذي أبطأك؟ قال : كيف نأتيكم وأنتم لا تقصّون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تستاكون. قال مجاهد : فنزلت الآية في هذا والمراد بالمعيب عليهم : بعض المؤمنين لا رسول الله ﷺ فحاشاه أن يكون معيباً وهو على أكمل الأحوال.

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿وما كان ربّك نسيّا﴾ أي : ناسيا إذا شاء أن يرسل إليك أرسل.

(٣) أي : لطاعته ، واللام بمعنى : على أي : على طاعته ، ولا تحزن لتأخّر الوحي عنك ، وأصل اصطبر : اصتبر فقلبت التاء طاء تخفيفاً في النطق.

(٤) ولذا إجماع أهل الإسلام من عهد آدم أنه لايجوز أن يسمى مخلوق باسم الله عزّ وجل «الله».

٢ ـ استحالة النسيان على الله عز وجل.

٣ ـ تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.

٤ ـ وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.

٥ ـ نفي الشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات:

ويقول الإنسان	: أي الكافر بلقاء الله تعالى.
ولم يك شيئاً	: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.
جثياً	: أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن.
من كل شيعة	: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه
عتياً	: أي تكبراً عن عبادته وظلما لعباده
أولى بها صلياً	: أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار.
إلا واردها	: أي ماراً بها إن وقع بها هلك، وإن مر ولم يقع نجا.
حتما مقضياً	: أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتّمه فهو كائن لابد.
فيها جثياً	: أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى بعض.

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقرير عقيدة البعث والجزاء يقول تعالى وقوله الحق: ﴿ويقول الإنسان﴾ أي المنكر للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أُبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرهما إذ هذه قولة كل من لايؤمن بالآخرة يقول: ﴿أإذا مت لسوف[1] أخرج حياً﴾ يقول هذا استنكاراً وتكذيباً قال تعالى: راداً على هذا الإنسان قولته الكافرة ﴿أو لايذكرُ[2] الانسان﴾ أي المنكر للبعث الآخر ﴿أنا خلقناه من[3] قبل ولم يك شيئاً﴾ أيكذب بالبعث وينكره ولايذكر خلقنا له من قبل، ولم يك شيئا.

أليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم جميعا مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم أذلاء صاغرين. هذا معنى قوله تعالى في الآية (٦٨) ﴿فوربك لنحشرنهم[4] والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم، يحضرهم حول جهنم جثياً، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتيا أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وهو معنى قوله تعالى في الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على أشد الرحمن عتيا﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم

---

(١) اللام في : (لسوف) للتأكيد والاستفهام: (أإذا): للإنكار، واللام: لام الابتداء جاء بها المتكلم لتأكيد إنكاره للبعث بعد الموت والخروج من قبره حيًا.

(٢) الاستفهام للانكار على منكر البعث،والتعجب من عقليته وعمىً قلبه من عدم النظر في عدم أصل خلقه فإنه لو أبصر وزالت غفلته لما أنكر البعث فالذي خلقه اليوم يخلقه غداً ولا عجب.

(٣) قبل كبعد: ملازمة للاضافة فإذا حذف المضاف بنيت على الضم، والمضاف المحذوف هنا تقديره: من قبل كونه شيئا يذكر في الوجود وقد أوجده الآن ويعدمه غداً ويحييه بعد موته يوم يريد ذلك.

(٤) الفاء: للتفريع، والضمير في: (لنحشرنهم) عائد على جنس الإنسان المكذّب بالبعث الآخر، والمشرك بالله المصر على ذلك، وذكر حشر الشياطين معهم تحقيراً لشأنهم حيث يحشرون مع أخس الخلق وأحطه ثمّ أشار إلى أنّ شركهم وكفرهم كان بتزيين الشياطين لهم ذلك، والجثي: جمع جاثٍ مثل: قاعد وقعود، فجثي: أصلها جثوي قلبت الواو ياء، وأدغمت، والجاثي هو البارك على ركبتيه عجزاً عن القيام.

أولى بها صليا﴾ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾[(١)].

وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولايسقطون في النار والكافرون[(٢)] يمرون فيسقطون في جهنم .وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ونذر الظالمين﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿فيها جثياً﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمرور على الصراط .

٢ ـ تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة .

٣ ـ تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين .

٤ ـ تقرير حتمية المرور على الصراط .

٥ ـ بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي .

---

(١) يقال: صلى يصلى صُليًا كمضى يمضي مُضيا وهوى يهوي هويًا، وصِليًا بكسر الصاد: قراءة حفص، وبضمها: قراءة نافع، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صليًا كما تقدّم في جثيا.

(٢) حاول صاحب التحرير أن يردّ مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثمّ ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى ردّ مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعيًا ففي صحيح مسلم: (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وبهذا الصراط.. فسّر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يَرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصحّ قول الرسول ﷺ فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلّا تحلة القسم) وهو الورود على متن جهنم نظراً إلى الآية ﴿وإن منكم إلّا واردها﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

شــرح الكلمـات :

آياتنا بينات : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج .

خير مقاماً : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة .

وأحسن ندياً : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء .

أحسن أثاثا ورئيا : أي مالا ومتاعا ومنظراً .

إما العذاب وإما الساعة : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم .

من هو شر مكانا : أي منزلة .

وأضعف جنداً : أي أقل أعواناً .

وخير مرداً : أي مايرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم[1] آياتنا بينات[2]﴾ أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء

---

(١) المراد بهم الكفار الذين سبق ذكرهم في الآيات قبل هذه إذا قرئت عليهم الآيات تعزّزوا بالدنيا وقالوا فما بالنا إن كنا على باطل أكثر أموالاً وأعز نفرا وقصدهم إدخال الشبهة على المستضعفين من المؤمنين.

(٢) (بينات) حال مؤكدة.

يوم القيامة إذا قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن البينات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث ﴿قال الذين[1] كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾، وقولهم هذا هو رد فعل لاغير، إذ أنهم لما يسمعون الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لايجدون مايخففون به ألم نفوسهم فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم ﴿أي الفريقين﴾أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين خير مقاماً أي منزلاً ومسكنا وأحسن نديا أي ناديا ومجتمعا يجتمع فيه، لأنهم يقارنون بين منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول ﷺ والمؤمنون وبين دور ومنازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شوراهم فرد تعالى عليهم بقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً[2]﴾ أي لاينبغي أن يغرهم هذا الذي يتبجحون به ويتطاولون فإنه لايدوم لهم ماداموا يحاربون دعوة الحق والقائمين عليها فكم من أهل قرون أهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعا ومناظر حسنة جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي اذكر لهم سنتنا في عبادنا يارسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجا حتى إذا انتهوا إلى ماحدد لهم من زمن يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم وظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوي بالقتل والأسر ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون إلى جهنم عميا وبكما وصما جزاء التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون[3] من هو شر مكاناً وأضعف جنداً﴾ أي شر منزلة وأقل ناصراً أهم الكافرون أم المؤمنون، ولكن حين لاينفع العلم. إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي

---

(١) الذين كفروا كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمؤمنون هم أصحاب النبي ﷺ كعمار وبلال وصهيب.

(٢) الأثاث: متاع البيت من فرش وغيرها مما هو جديد، فإن استعمل قيل فيه: الخرثي قال الشاعر:

تقادم العهد من أم الوليد بنا ... دهراً وصار أثاث البيت خرثياً

الرئي: المنظر الحسن. وفيه قراءات خمس أشهرها قراءة الجمهور ورئيا بالهمزة، وقراءة نافع ريًا بدون همزة واشتقاقه من الرؤية أي: المنظر، ومن الريّ ضد العطش، إذ الريّان هو المنعّم ذو الحال الحسنة.

(٣) في الآية ردّ على قولهم: ﴿أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾. أي سوف تنكشف الحقائق في يوم القيامة، ويعلمون يقينا من هو الأفضل حالاً والأحسن مآلا.

الحسرة والندامة لاغير.

وقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾[1] أي إذا كان تلاوة الآيات البينات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفراً وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي.

وقوله تعالى: ﴿والباقيات[2] الصالحات خير عند ربك﴾ أيها الرسول ﴿ثواباً وخير مرداً﴾ في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن مايتبجح به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فانٍ، والصالحات باقية فثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً أي مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتز المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين.

٣ ـ بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان المؤمنين عند سماع القرآن الكريم، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين.

٤ ـ بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) وفي الآية وجه اخر مشرق صالح وهو: أن الله تعالى يمدّ لأهل الضلالة في ضلالتهم، ويزيد لأهل الهداية في هدايتهم إذ قال: ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا﴾. وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً﴾ وما في التفسير صالح ومشرق أيضاً.

(٢) أي: الأعمال الصالحة التي يعمل العبد إيماناً وإحساناً كالصلاة والصيام والصدقات والجهاد وذكر الله ثوابها لأهلها المدّخر لهم عند الله تعالى خير من أعمال أهل الكفر والشرك والظلم إذ هي ذاهبة هباء منثوراً فيم يتعزّز الكافرون؟

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
(٧٧) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)

شـرح الكلمـات :

الذي كفر بآياتنا : هو العاص بن وائل.

لأوتين مالا وولداً : يريد في الآخرة.

أطلع الغيب : أي فعرف أنه يعطى مالا وولداً يوم القيامة.

كـلا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً.

ونمد له من العذاب مداً : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة

ونرثه مايقول : أي نسلبه ماتبجح به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد.

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه ﷺ معجباً له ﴿أفرأيت[1] الذي كفر بآياتنا﴾ أي كذب بالوحي ومايدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي. وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص. ﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قيّن «حداداً» وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثُمَّ تبعث فقال له العاص إذا أنا مِتُّ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل: ﴿أطلع الغيب[2]﴾ فعرف أن له يوم القيامة مالاً وولداً. ﴿أم اتخذ عند

---

(١) الأئمة ومن بينهم مسلم في صحيحه على أن هذه الآية نزلت في الخباب والعاص بن وائل إذ كان لخباب دَين على العاص فطالبه فأجابه بما خلاصته في التفسير أعلاه.

(٢) ﴿أطّلع الغيب﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنظر في اللوح المحفوظ. وقال مجاهد: أعلِم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

الرحمن عهداً﴾ بذلك بأن سيعطيه مالاوولداً يوم القيامة﴿كلا[1]﴾لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً. وقوله تعالى: ﴿سنكتب مايقول﴾ من الكذب والإفتراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾، وقوله تعالى: ﴿ونرثه[2] مايقول ويأتينا فردا﴾ أي ونسلبه مايقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلك أو ينصر رسوله على قومه فيسلبهم المال والولد. ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال معه ولا ولد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ الكشف عن نفسيات الكافرين لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد أو سلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم.

٢ ـ تقرير البعث والحساب والجزاء.

٣ ـ مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين لظلمهم بعد كفرهم.

٤ ـ تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴿٨٧﴾

---

(١) كلا: ردّ عليه أي: لم يكن له ذلك. أي: لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً.

(٢) وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد إذ قال: لأوتين مالاً وولداً ورد تعالى عليه قوله بقوله: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾.

شــرح الكلمـات :

ليكونوا لهم عزاً : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لايعذبوا .

سيكفرون بعبادتهم : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم .

ضداً [١] : أي أعداء لهم وأعوانا عليهم .

تؤزهم أزاً : أي تزعجهم ازعاجا وتحركهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

وفدا : أي راكبين على النُجُب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى ربهم فيكرمهم .

إلى جهنم ورداً : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .

عهداً : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معنى الآيات:

يخبر تعالى منددأ بالمشركين فيقول: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات، ﴿ليكونوا لهم﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿عزاً﴾ [٢] أي شفعاء لهم عندنا يعزون بواسطتهم ولا يُهانون ، ﴿كلا﴾ [٣] أي ليس الأمر كما يظنون ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم ، ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أي خصوما،ومن ذلك قولهم [٤] ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ . وقولهم . ﴿بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ .

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨٣) ﴿ألم تر [٥] أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾

---

(١) الضدّ : ما يخالف ضده في الماهية أو المعاملة، ومن هذا تسمية العدو ضدّ لأن معاملته تخالف معاملة نظيره، ويكون ضدّ في معنى المصدر عاملوه معاملة المصدر فلا يثني ولا يجمع ولا يؤنث .

(٢) العزّ: ضد الذلّ، وأطلق العزّ هنا وأريد به سببه وهو الشفعاء والأعوان إذ بهم تحصل العزة وتكون المنعة .

(٣) (كلا) : جائز أن تكون نافية بمعنى : لا وليس وجائز أن تكون بمعنى : حقاً أي : حقاً سيكفرون بعبادتهم . . الخ .

(٤) أي : فيما أخبر تعالى به في قوله : ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فها هم قد وقفوا ضدّهم بتكذيبهم إياهم . ورأى بعض أهل التفسير أنّ من الجائز أن تكون الآية مبشرة بنصر الرسول ﷺ وأن يوماً سيأتي يكفر المشركون بآلهتهم وذلك بعد إسلامهم .

(٥) الاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب أي : كيف لم تَرَ ذلك والأمر واضح لوجود آثاره يشاهدها كل أحد . وأرسلنا بمعنى سلطناهم أو خلّيناهم يفعلون بهم ما أرادوا من الإغواء والفتنة .

يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يارسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزا أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً. أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيها عليهم حتى أنفاسهم ونحاسبهم على كل ذلك ونجزيهم به. هذا معنى قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم[1] عدا﴾.

وقوله تعالى في الآية (٨٥) ﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي أذكر يارسولنا يوم نحشر المتقين ﴿إلى الرحمن وفداً﴾. والمتقون هم أهل الإيمان بالله وطاعته وتوحيده ومحبته وخشيته وطاعة رسوله ومحبته وفداً أي راكبين على النجائب من النوق عليها رِحال الذهب إلى الرحمن إلى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الأبرار والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾: أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يُساقون سوق البهائم إلى جهنم وبئس[2] الورد المورود جهنم.

وقوله تعالى ﴿لايملكون الشفاعة إلا من[3] اتخذ عند الرحمن عهداً﴾[4] أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لايملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمتقين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك إن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراما للشافع أيضا وإنعاما على المشفوع له. كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم إلى الله الراجين ربهم يملكون الشفاعة إن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها بشفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم.

---

(١) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإنا نعدّ لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٢) يطلق لفظ الورد على الماشية عندما تساق إلى الماء لترده، ويطلق على السير إلى الماء أيضا كما يطلق على الماء المورود ومنه قوله تعالى: ﴿وبئس الورد المورود﴾.

(٣) الاستثناء منقطع، والمنقطع هو: استثناء الشيء من غير جنسه، ولذا يؤتى بعده بلكن كما هو في التفسير أي: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفع.

(٤) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضاً بدليل السنة الصحيحة، وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما العهد أيضاً بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزياً لهم وإحقاقاً للعذاب عليهم .

٢ ـ لا عجب مما يشاهد من مسارعة الكافرين إلى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف إلى ذلك وتدفعهم إليه .

٣ ـ لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلما ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصىً عليهم حتى أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به .

٤ ـ بيان كرامة المتقين، ومهانة المجرمين .

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله .

جئتم شيئاً إداً : أي منكراً عظيمًا .

يتفطرن : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه .

وتخر الجبال هداً : أي تسقط وتتهدم وتنهدم .

أن دعوا للرحمن ولداً : أي من أجل إدعائهم أن للرحمن عز وجل ولدا .

ولا ينبغي : أي لايصلح ولايليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.
إلا آتى الرحمن عبداً : أي خاضعا منقاداً كائناً من كان.
فرداً : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وقالوا﴾ أي أولئك الكافرون ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾[1] إذ قالت بعض القبائل العربية الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله. يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾[2] أي أتيتم بشيء منكر عظيم، ﴿تكاد[3] السموٰات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه، ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا[4]﴾ أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عز وجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب أليم. وقوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولدا[5]﴾ أي أن نسبوا للرحمن ولداً، ﴿وماينبغي للرحمن﴾ أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر إلى اتيان الأنثى فيكون بإذن الله الولد، والله عز وجل منزه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم؟

وقوله تعالى ﴿إن[6] كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً﴾ هذا برهان على بطلان قولة الكافرين الجاهلين، إذ الذى ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة

---

(١) قرىء: (وُلداً) بضم الواو وسكون اللام، وقراءة الجمهور (ولدا) بفتح الواو واللام وهما لغتان مثل: العُرب والعَرب. والعُجم والعَجم قال الشاعر:

ولقد رأيت معاشرا قد ثمّروا مالا ووُلداً

وقال آخر:

مهلا فداءً لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن وَلَد

ففي البيت الأول شاهد وُلد بسكون اللام وفي الثاني شاهد لفتحها مع ضم الواو في الأول وفتحها في الثاني.

(٢) الإد والإدة: الداهية والأمر الفظيع. قال ابن عباس: الإدّ: المنكر العظيم.

(٣) (تكاد) بالتاء قراءةالعامة، وقرأ نافع بالياء (يكاد).

(٤) الهدّ: الهدم بصوت شديد، والهدَّة: صوت وقع الحائط ونحوه.

(٥) روى البخاري عن النبي ﷺ قوله: (يقول الله تبارك وتعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأمّا تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأمّا شتمه إيّاي: فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(٦) (إنّ) نافية بمعنى ما. في الآية دليل على عدم جواز ملك الوالد للولد ولا الولد للوالد، وفي الحديث الصحيح: (لا.. ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه). فإذا لم يملك الأب ابنه فلأن لا يملك الابن أباه من باب أولى.

وإنس وجن إلا آتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلا منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً، [1] إذ الولد يطلب للحاجة إليه، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك.

وقوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾ أي علمهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد له لعلمه، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ هذا رد على أولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير. فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر، ولا مال ولا سلطان.

هداية الآيات

من هداية الآيات

١ ـ عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم.

٢ ـ بيان أن كل المخلوقات من أجلّها إلى أحقرها ليس فيها غير عبد لله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم.

٣ ـ بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفته لعددهم فلا يغيب عن علمه أحد منهم، ولا يتخلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

(١) روى أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم) أخرجاه في الصحيحين، وفي لفظ إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم.

شــرح الكلمـات:

ودأ : أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى.

فإنما يسرناه بلسانك : أي يسرنا القرآن أي قراءته وفهمه بلغتك العربية.

قوما لدأ : أي ألداء شديدوا الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش.

وكم أهلكنا : أي كثيراً من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم.

هل تحس منهم من أحد : أي هل تجد منهم أحداً.

أو تسمع لهم ركزا : أي صوتا خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبوعد الله ووعيده فتخلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنين محبة وودأ [1] وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحابون متوادون، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم. وقوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾ أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك ﴿لتبشر به المتقين﴾ من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالايمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي، ﴿وتنذر به قوما لدأ﴾ [2] وهم كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة، وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم [3] من قرن﴾ أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا ﴿فهل تحس [4] منهم من أحد﴾ فتراه بعينك أو تمسه بيدك، ﴿أو تسمع [5] لهم ركزاً﴾ أي صوتاً خفيا اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحبّه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ـ قال: ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام وقال: إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض).

(٢) (لُدّا): جمع الألد، وهو: الشديد الخصومة، ومنه قوله تعالى: (ألدّ الخصام) وقال الشاعر:

أبيت نجيا للهموم كأنني   أخاصم أقواما ذوي جدل لدّا

(٣) في الآية تهديد وتخويف لأهل مكة المصرين على الكفر والشرك والتكذيب. وكم: خبرية، والقرن: الجيل والأمة. ويطلق على الزمان الذي تعيش فيه الأمة وشاع إطلاقه على المائة سنة.

(٤) والإحساس: الإدراك بالحس. والاستفهام إنكاري.

(٥) قيل: الرّكز: مالا يفهم من صوت أو حركة.

فيتعظوا فيتوبوا إلى ربهم بالإيمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً.

٢ - بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي ﷺ من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي.

٣ - إنذار العتاة والطغاة من الناس أن يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى؟

سُورَةُ طه

مكية

وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

شرح الكلمات

طه : أي يارجل.

إلا تذكرة : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عز وجل.

على العرش استوى : أي ارتفع عليه وعلا.
وما تحت الثرى : الثرى التراب الندي يريد ماهو أسفل الأرضين السبع.
وأخـفى : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد.
الحسـنى : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طه﴾[1] لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة، وجائز أن يكون معناه يارجل[2] ورجح الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يارجل وعلى هذا فمعنى الكلام يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القرآن الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عز وجل ذلك وقال ﴿ما أنـزلنـا عليك القـرآن لتشقى إلا تذكـرة لمن يخشى﴾ وإنمـا أنـزلناه ليكون تذكرة[3] ذكري يذكر بها من يخشى ربه فيقبل على طاعته متحملا في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذبين لرسوله، وقوله: ﴿تنزيلاً[4] ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نُزِّل تنزيلا من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى: ﴿الرحمن[5] على العرش استوى﴾ أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق به يدبر أمر مخلوقاته، الذي ﴿له[6] مافي السموات ومافي

---

(١) نزلت (طه) قبل إسلام عمر رضي الله عنه لما روي: أنه دخل على بيت ختنه سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم أجمعين فطلبها فلم يُعطها حتى اغتسل فلمّا قرأها لان قلبه ورق للإسلام.

(٢) قيل: إن طه بمعنى: يا رجل لغة معروفة في عكل حتى إنك إذا ناديت المرء بيارجل لم يجبك حتى تقول: طه وأنشد الطبري في هذا قول الشاعر:

دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون مزيلاً

(٣) التـذكرة: خطور المنسي بالذهن لأنّ التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها فسماع القرآن كقراءته يثير كامن التوحيد في فطرة الإنسان.

(٤) (تنزيلا) حال من القرآن، المراد منها التنويه بشأن القرآن والإعلان عن خطره.

(٥) (الرحمن) يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو الرحمن جل جلاله. ويجوز أن تكون مبتدأ واختير اسم الرحمن لأن المشركين ينكرون اسم الرحمن جهلاً منهم وعناداً.

(٦) تقديم الجار والمجرور: مؤذن بالحصر، وهو كذلك، إذ ليس لأحد ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى سواه عزّ وجل.

الأرض ومابينهما وما تحت الثرى[1]﴾ من الأرضين السبع. وقوله ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أيها الرسول أوتُسِر ﴿فإنه يعلم السر وأخفى[2]﴾ من السر، وهو ماقدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد. وقوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه ﴿له الأسماء الحسنى﴾ التي لا تكون إلا له، ولا تكون لغيره من مخلوقاته. وهكذا عرَّف تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فلله الحمد وله المنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.

٢ ـ تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣ ـ تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل اثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عز وجل.

٤ ـ تقرير ربوبية الله لكل شيء.

٥ ـ تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى.

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(١) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.
(٢) وجائز أن يكون أخفى السر: حديث النفس إذ هو أخفى من السر إذ السر ينطق به، وخاطر النفس لا ينطق به.

فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾

شـرح الكلمـات :

هل أتاك : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق.

حديث موسى : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل

إذ رأى ناراً : أي حين رؤيته ناراً.

لأهله : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد.

آنست ناراً : أي ابصرتها من بعد.

بقبس[١] : القبس عود في رأسه نار.

على النار هدى : أي مايهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر.

فلما أتاها : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً.

نودي ياموسى : أي ناداه ربه قائلا له ياموسى . . . . !

المقدس طوى[٢] : طوى اسم للوادي المقدس المطهر.

اخترتك : من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل.

فاستمع لما يوحى : أي إليك وهو قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾.

لذكري : أي لأجل أن تذكرني فيها.

أكاد أخفيها[٣] : أي أبالغ في اخفائها حتى لايعلم وقت مجيئها أحد.

---

(١) القبس والمقباس يقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فقبسني أي: أعطاني منه قبساً بتحريك السين مفتوحة، واقتبست منه علماً لأنّ العلم نور، من مادة النار التي هي الضياء والإشراق.

(٢) طوى بالكسر وبالضم أشهر وبه قراءة عامة القراء، وهو اسم للوادي وفي لفظه ما يشير إلى أنه مكان فيه ضيق كالثوب المطوي أو لأن موسى طواه سيراً.

(٣) لما كانت الساعة مخفية الوقوع أثار قوله تعالى ﴿أكاد أخفيها﴾ تساؤلات كثيرة أقربها إلى الواقع ثلاثة. الأول: إخفاء الحديث عنها لأنّ الحديث عنها لا يزيد المعاندين من منكري البعث إلاّ عناداً. والثاني: أنّ كاد زائدة والتقدير: أنّ الساعة آتية أخفيها. والثالث: أن أخفيها بمعنى: أزيل خفاءها بأن أظهرها فتكون الهمزة للسلب نحو أعجم الكتاب: أزال عجمته واشكى زيداً: إذا أزال شكواه.

بما تسعى : أي سعيها في الخير أو في الشر.
فتردى : أي تهلك.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لامعبود غيره وأمره بعبادته. فقال تعالى: ﴿وهل أتاك﴾[١] أي يانبينا ﴿حديث موسى[٢] إذ رأى ناراً﴾، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل، ﴿امكثوا﴾ اي ابقوا هنا فقد آنست ناراً أي أبصرتها لعلي آتيكم منها بقبس﴾ فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفئون بها، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه.

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة[٣] تتلألؤ نوراً ﴿نودي ياموسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلاً ياموسى[٤] ﴿إني أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنـك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقـدس بقدميه. وقوله تعالى ﴿وأنا أخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم. ﴿فاستمع لما يوحى[٥]﴾ أي إليك وهو: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبـود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي، ﴿وأقم الصلاة لذكري[٦]﴾، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها. فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى. وقوله ﴿إن الساعة آتية[٧]﴾ أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى.

(٢) الحديث: الخبر، ويجمع على غير قياس: أحاديث، وقيل: واحده أحدوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء. كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج.

(٣) قيل: هي شجرة عنّاب.

(٤) قرأ حمزة وحده، وانّا اخترناك بضمير العظمة.

(٥) في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أوّل لقاء معه، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها.

(٦) استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصليها مستدلا بقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي: لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال ﷺ (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك)

(٧) الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب.

آتية لا محالـة. من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر، وقوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي. وذلك لحكمة أن يعمل الناس مايعملون وهم لايدرون متى يموتون ولا متى يبعثون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلا، وقوله: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فتردى﴾ ينهى تعالى موسى أن يَقبل صدَّ صَادٍ من المنكرين للبعث متَّبعي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون، فإن من لايؤمن بها ولايتزود لها يردى أي يهلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة لمحمد ﷺ.

٢ - تقرير التوحيد وإثباته، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل.

٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٤ - مشروعية التبرك بما جعله الله تعالى مباركاً، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه.

٥ - وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى.

٦ - بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته.

وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ

﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

شرح الكلمات:

وما تلك بيمينك ياموسى : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.

أتوكأ عليها : أي أعتمد عليها.

وأهش بها على غنمي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.

ولي فيها مآرب أخرى : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حمله على عاتقه، وقتل الهوام.

حية تسعى : أي ثعبان عظيم، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمى بالجان.

سيرتها الأولى : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حيّة.

إلى جناحك : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط.

بيضاء من غير سوء : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس.

إذهب إلى فرعون : أي رسولاً إليه.

انه طغى : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبها عنده قائلا: ﴿وماتلك بيمينك ياموسى[1]؟﴾ يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة، فإذا تحولت إلى حية تسعى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله إلى فرعون وملائه. وأجاب موسى ربه قائلا: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش[2] بها على غنمي﴾ يريد يخبّط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم ﴿ولي فيها مآرب[3]﴾ أي حاجات

(١) الجملة معطوفة على الجمل قبلها، وهي استفهامية أي: وما التي بيمينك؟ والمقصود تقرير الأمر حتى يقول موسى: هي عصاي.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه. وفي الحديث وقد سئل عن ماء البحر فقال: (هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته) فزاد جملة: (الحل ميتته) وقوله للتي سألته قائلة: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر) فزاد (ولك أجر) وفي البخاري: باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل.

(٣) الواحد: مأربة مثلثة الراء.

﴿أخرى﴾[1] كحمل الزاد والماء يعلقه بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية. فقال له ربه عز وجل ﴿ألقها ياموسى فألقاها﴾ من يده ﴿فإذا هي حية تسعى﴾[2] أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى: ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾[3] أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلا أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه. ثم أمره تعالى بقوله: ﴿واضمم يدك﴾ أي اليمنى ﴿إلى جناحك﴾[4] الأيسر ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي برص وفعل فضم يده تحت عضده إلى ابطه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقة قمر، أو كأنها الثلج بياضا أو أشد، وقوله تعالى ﴿آية أخرى﴾ أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا إلى حية تسعى كأنها جان. وقوله تعالى: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى، أي حولنا لك العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطاننا. وقوله تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ لما اراه من عجائب قدرته أمره أن يذهب إلى فرعون رسولا إليه يأمره بعبادة الله وحده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم إلى أرض المعاد بالشام وقوله ﴿إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعي الربوبية والألوهية إذ فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ماعلمت لكم من إله غيري﴾، فأي طغيان أكبر من هذا الطغيان.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا ممن يوحى إليه.

٢ - استحباب تناول الأشياء غير المستقذرة باليمين.

٣ - مشروعية حمل العصا.[5]

---

(١) أطنب موسى في الجواب طلباً لمزيد الأنس بالوقوف بين يدي ربّه يناجيه ويوحي إليه.

(٢) الحيّة: اسم لصنف من الحنش مسموم إذا عضّ بنابيه قتل المعضوض.

(٣) السيرة في الأصل: هيئة السير ونقلت إلى العادة والطبيعة.

(٤) الجناح: العضد وما تحته من الإبط فهو مع اليد كجناح الطائر.

(٥) كان خطباء العرب يحملونها في أثناء الخطاب يشيرون بها، وكره هذا الشعوبيون من غير العرب وهم محجوجون بفعل الرسول ﷺ، وللعصا فوائد كثيرة آخر فوائدها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة.

٤ - سنة رعي الغنم للأنبياء.

٥ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك.

٦ - آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد بيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس.

٧ - بيان الطغيان: وهو ادعاء العبد ماليس له كالألوهية ونحوها.

قَالَ

رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

اشرح لي صدري	: أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.
ويسر لي أمري	: أي سهله حتى أقوى على القيام به
واحلل عقدة من لساني[1]	: أي حبسة حتى أُفهم من أُخاطب
أشدد به أزري	: أي قوي به ظهري.
وأشركه في أمري	: أي اجعله نبياً كما نبأتني[2]

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى إنه بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربه تعالى ﴿اشرح لي صدري﴾ لأتحمل أعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ أي سهل مهمتي عليّ وارزقني العون

---

(١) أصل العقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر وهي فُعلة كغرفة وشرفة أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف ويقال: حُبسة فشبه موسى حبسة لسانه بالعقدة في الحبل ونحوه.

(٢) يقال: ما برّ أخ أخاه كما برّ موسى أخاه هارون إذ طلب له أشرف مطلب الرسالة والنبوة.

عليها فإنها صعبة شاقة. ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عز وجل حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون ونتفها فغضب فقالت له آسية إنه لايعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجمر في طست ونقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ماشئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يحلها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفُهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته. هذا معنى قوله: ﴿واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي﴾[1].

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى ﴿واجعل لي وزيراً[2] من أهلي هارون أخي﴾ أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها. وقوله: ﴿اشدد به أزري[3]﴾ أي قوّ به ظهري. وقوله: ﴿وأشركه في أمري﴾ وذلك بتنبئته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً. وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله: ﴿كي نسبحك[4] كثيراً ونذكرك كثيراً﴾، وقوله ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لايخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وماطلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب اللجأ إلى الله تعالى في كل مايهم العبد.

٢ ـ مشروعية الأخذ بالأُهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به.

٣ ـ فضيلة التسبيح والذكر، والتوسل بأسماء الله وصفاته.

---

(١) اختلف في هل انحلّت تلك العقدة أو لم تنحل، والصحيح أنها انحلّت إجابة الله تعالى لدعوة موسى إذ قال: (قد أجيبت دعوتكما) وأما قول فرعون: ولا يكاد يبين فهو تكرار لما سبق ولأجل الانتقاص من كمال موسى عليه السلام.

(٢) الوزير: المؤزار كالأكيل للمؤاكل، وفي حديث النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه).

(٣) الأزر: الظهر من موضع الحقوين، والأزر: القوة أيضاً وآزره أي: قواه، وقيل: الأزر العون، ومنه قول أبي طالب.

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

(٤) في هذه الآية دليل على فضل التسبيح والذكر إذ لولا أنّ موسى علم حب الله تعالى لهما لما توسل بهما لقضاء حاجته.

قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾
إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ
فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ
عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ
فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾

شـرح الكلمـات :

قد أوتيت سؤلك[1] : أي مسؤولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وانحلال عقدة لسانك، وتنبئة أخيك.

ولقد مننا عليك مرة أخرى: أي انعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه.

ما يوحى : أي في شأنك وهو قوله: أن اقذفيه الخ.

في التابوت : أي الصندوق.

فاقذفيه في اليم : أي في نهر النيل.

ولتصنع على عيني[2] : تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة.

على من يكفله : ليكمل له رضاعه

وقتلت نفسا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.

فنجيناك من الغم : إذ استغفرتنا فغفرنا لك وأئتمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.

وفتناك فتونا : أي اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيما.

---

(١) سؤل بمعنى مسؤول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول.

(٢) الصنع هنا: بمعنى التربية والتنمية.

جئت على قدر[1] : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون.

واصطنعتك لنفسي : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.

معنى الآيات :

مازال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه أموراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله : في هذه الآية (٣٦) ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي قد أعطيت ما طلبت، ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي قبل هذه الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل ﴿إذ أوحينا[2] إلى أمك[3] أن اقذفيه في التابوت﴾ أي في الصندوق ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أي نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل[4] يأخذه عدو لي[5] وعدو له﴾ فهذه النجاة نعمة، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك، ونعمة أخرى وهي: من أجل أن تُربَّى وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أ رجعتك بتدبيري إلى أمك لترضعك وتقر عينها ولا تحزن على فراقك، وهو ماتضمنه قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك[6] ﴾ فتقول: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم أي لارضاعه وتربيته. ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ ، ونعمة أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس وائتمار آل فرعون على قتلك ﴿ فنجيناك من الغم﴾ من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل. وقوله تعالى: ﴿وفتناك فتوناً[7]﴾ أي ابتليناك ابتلاءً عظيما وهاهي ذي خلاصته في الأرقام التالية :

١ ـ حمل امك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل.

٢ ـ إلقاء أُمك بك في اليم.

٣ ـ تحريم المراضع عليك حتى رجعت إلى أمك.

٤ ـ أخذك بلحية فرعون وهمه بقتلك.

---

(١) كما قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر

(٢) أوحى الله تعالى إلى أم موسى : ﴿أن اقذفيه. .﴾ الآية.

(٣) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبيّة اجماعاً.

(٤) الساحل : الشاطىء، وهو ساحل معهود وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة. واللام في (فليلقه) لام التكوين الإلهي.

(٥) هذا العدو: فرعون عدو الله تعالى وعدو موسى وبني اسرائيل.

(٦) أخت موسى تسمى مريم بنت عمران.

(٧) الفتون: مصدر كالدخول والخروج وهو كالفتنة، وهي اضطراب حال المرء في مدة حياته.

٥ ـ قتلك القبطي وائتمار آل فرعون بقتلك.
٦ ـ إقامتك في مدين وماعانيت من آلام الغربة.
٧ ـ ضلالك الطريق بأهلك وماأصابك من الخوف والتعب.

هذه بعض مايدخل تحت قوله تعالى: وفتناك فتوناً وقوله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾[1] ترعى غنم شعيب عشراً من السنين ﴿ثم جئت﴾ من مدين إلى طور سينا ﴿على قدر﴾ منا مقدر ووعد محدد ما كنت تعلمه حتى لاقيته. واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك وابتليتك واتيت بك على موعد قدّرته لك لأُحمِّلك عبء الرسالة إلى فرعون وبني إسرائيل: إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك إلى أرض المعاد. وإلى بني إسرائيل لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه.
٢ ـ مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام.
٣ ـ آية حب الله تعالى لموسى، وأثر ذلك في حب الناس له.
٤ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه السلام.

ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام، وأهل مدين: أي: البلاد التي سميت باسم ابن ابراهيم هم قوم شعيب، والبلاد على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة.

وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

شــرح الكلمات :

بآياتي	: أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها.
ولا تنيا في ذكري	: أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما.
انه طغى	: تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.
قولا لينا	: أي خالياً من الغلظة والعنف.
لعله يتذكر	: أي فيما تقـولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل.
يفرط علينا	: أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له .
أو أن يطغى	: أي يزداد طغيانا وظلما.
اسمع وأرى	: أي اسمع ماتقولانه ومايقال لكما، وأرى ماتعملان ومايعمل لكما.
فأرسل معنا بني إسرائيل	: أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم.
بآية	: أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً.
والسلام على من اتبع الهدى	: أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى، إذ الهدى إيمانٌ وتقوى.
من كذب وتولى	: أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنهما فلم يقبلهما.

معنى الكلمـات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في

الآية السابقة أنه صنعه لنفسه، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى فقال: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي[1] ولا تنيا في ذكري[2]﴾ وبين لهما إلى من يذهبا وعلة ذلك فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله، وعلمهما اسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي خاليا من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل لذلك فقال ﴿لعله يتذكر أو يخشى[3]﴾ أي رجاء أن يتذكر معاني كلامكما وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي[4] أو يخشى العذاب ان بقى على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله: ﴿فقالا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل بعقوبتنا بالضرب أوالقتل، ﴿أو أن يطغى[5]﴾ أي يزداد طغياناً وظلماً. فطمأنهما ربهما عز وجل بأنه معهما بنصره وتأييده وهدايته إلى كل ما فيه عزهما فقال لهما: ﴿لاتخافا﴾ أي من فرعون وملائه: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ اسمع ماتقولان لفرعون ومايقول لكما. وأرى ماتعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركما عليه فأحق عملكما وأبطل عمله. فاتياه إذاً ولا ترددا فقولا أي لفرعون ﴿إنا رسولا ربك﴾ أي إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ لنخرج بهما حيث أمر الله، ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهم في أسوء الأعمال وأحطها، ﴿قد جئناك بآية من[6] ربك﴾ أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد

---

(١) يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيات التسع. وهذا باعتبار ما يكون وإلا فما حصل هو آية العصا واليد لا غير.

(٢) ولا تنيا؛ أي: ولا تضعفا. يقال: وني يني ونىً أي: ضعف في العمل. أي: لا تني أنت وأبلغ هارون أن لا يني.

(٣) لعلّ: حرف ترج ولكن هي هنا بالنسبة إلى موسى وهارون معناه: لعل رجاءكما وطمعكما. فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر.

(٤) لقد تذكر فرعون وخشي وذلك ساعة غرقه ولم ينفعه ذلك إذ قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل.

(٥) قوله تعالى: (قالا ربنا إنا نخاف) الخ هذه بداية كلام موسى وهارون بعد أن انتهى كلام موسى مع ربّه وحده. قبل أن يصل إلى مصر، ومعنى: يفرط يبادر بعقوبتهما ويعجلها، يقال: فرط منه أمر أي: بدر، وأفرط: أسرف وفرّط: ترك وأضاع، وفي الآية دليل عدم المؤاخذة بالخوف مما من شأنه أن يخاف، ولكن لا يمنع من عبادة الله تعالى التي هي علّة الخلق والوجود.

(٦) هي اليد والعصا.

وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج إلى أرض المعاد معنا. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي واعلم يافرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به، فاتبع الهدى تسلم[1]، وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه ﴿قد أوحى إلينا﴾ أي أوحى إلينا ربنا، ﴿أن العذاب[2] على من كذب﴾ بالحق الذي جئناك به ﴿وتولى﴾ عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً.

٢ ـ وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس إلى ربهم.

٣ ـ تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحى عباده بنصرهم وتأييدهم.

٤ ـ تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى.

٥ ـ شرعية إتيان الظالم وأمره ونهيه والصبر على اذاه.

٦ ـ عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت اسبابه.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

---

(١) والسلام هنا ليس سلام تحية.

(٢) قوله تعالى: (إنّ العذاب على من كذّب وتولّى) هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذّبوا ولم يتولوا.

شـــرح الكلمات :

أعطى كل شيء خلقه	: أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره.
ثم هدى	: أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه.
قال فما بال القرون الأولى	: أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى لايفتضـح فما بال القـرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟
قال علمها عند ربي	: أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه لايعنينا
في كتاب لايضل ربي ولا ينسى	: أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعـمالهم إن ربي لايخـطىء ولا ينسى فإن عذب أو أخـر العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك.
مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً	: مهاداً، فراشا وسلك: سهل، وسبلاً طرقاً.
أزواجا من نبات شتى	: أزواجاً: أصنافاً: شتى: مختلفة الألوان والطعوم.
ان في ذلك لآيات	: لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته.
لأولى النهى	: أي أصحاب العقول لأن النُهية العقل وسمى نهية لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي.
منها خلقناكم	: أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم عند البعث يوم القيامة.
تارة أخرى	: أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه اخراجاً من الأرض.

معنى الآيات :

السياق الكـريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى وأخـوه إلى فـرعـون ودَعَـوَاهُ إلى الله تعـالى ليـؤمـن بـه ويعبـده وبأسلوب هادىء لين كما أمرهما الله تعالى: فقالا له: ﴿والسلام على من اتبع الهدى إنا قد اوحي علينا أن العذاب على من

كذب وتولى﴾؟ ولم يقولا له لا سلام عليك، ولا أنت مكذب ومعذب، وهنا قال لهما فرعون ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قال فمن ربكما ياموسى؟﴾ أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله: ﴿ربنا الذي أعطى[1] كل شيء خلقه ثم هدى[2]﴾ أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته إلى طلب رزقها من طعام وشراب، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها. وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال: ﴿فما بال[3] القرون الأولى﴾ أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان. وعرف موسى أن اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿علمها عند ربي في كتاب[4]، لا يضل ربي ولاينسى[5]﴾ فإن ما سألت عنه لايعنينا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربي في لوح محفوظ عنده وسيجزيها بعملها، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إنما لحكمة يعلمها فإن ربي لايخطىء ولا ينسى وسيجزى كلاً بكسبه. ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي فراشاً مبسوطة للحياة عليها ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ أي سهل لكم للسير عليا طرقا تمكنكم من الوصول إلى حاجاتكم فوقها، ﴿وأنزل من السماء ماء وهو المطر﴾ المكون للأنهار والمغذي الممد للآبار. هذا هو ربي وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه. وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا[6] به أزواجاً من نبات شتى﴾ أي بالمطر ازواجاً أي أصنافاً من نباتٍ شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص. كان هذا من قول الله

---

(١) أعلمه عليه السلام بأنّ ربه تعالى يعرف بصفاته لابذاته ولا باسم يعرف به ولم يقل له موسى: إنه الله، لأنّ الاسم العلم لايهدي إلى معرفته تعالى كما تهدي إليه الصفات العُلى التي لا يقدر فرعون على جحدها وإنكارها.

(٢) قال ابن عباس: أعطى كل زوج من جنسه ثمّ هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وقال مجاهد: اعطى كل شيء صورته ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان. قال الشاعر:

وله في كل شيء خلقه　　وكذا الله ما شاء فعل

(٣) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟ فأعلمه موسى عليه السلام أنّ علمها عند الله أي: إن ما سألت عنه من علم الغيب الذي استأثر الله به دون سواه.

(٤) في هذه الآية دليل على مشروعية كتابة العلوم وتدوينها، حتى لا تنسى فتضيع وفي الحديث شاهد آخر ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده. إن رحمتي تغلب غضبي).

(٥) الضلال: الخطأ في العلم شبّه بخطإ الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في الذهن.

(٦) في الكلام التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم والخطاب تنويعاً للأسلوب وتحريكاً للضمير الجامد.

تعالى تتميمًا لكلام موسى وتذكيراً لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد. وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات وارعوا إبلكم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي إن في ذلـك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وانه بذلك مستحق للعبادة دون سواه إلا أن هذه الدلائل لايعقلها إلا اصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره. وقوله تعالى: ﴿منها﴾ أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي بخلق أصلكم الأول وهو آدم، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون فيها، ﴿ومنها نخرجكم[1] تارة أخرى[2]﴾ أي مرة أخرى وذلك يوم القيامة إذ نبعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع.

٢ - تقرير مبدأ من حسن[3] إسلام المرء تركه ما لايعنيه.

٣ - تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان.

٤ - الاستدلال باالآيات الكونية على الخالق عز وجل وقدرته وألوهيته.

٥ - احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل[4] صاحبها دون الباطل والشر.

٦ - تسمية العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح.

---

(١) بمناسبة ذكر دلائل وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته دون سواه ذكّرهم بعقيدة البعث والجزاء مستدلاً عليها بقدرة الله تعالى وعلمه.

(٢) تجمع التارة على تارات كالمرة على المرّات، والتارة: اسم جامد غير مشتق.

(٣) هذا حديث الصحيح: (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه).

(٤) تعقل: أي: تحجزه أو تصرفه عما يضرّ حالا أو مآلا.

وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

شـرح الكلمات :

أريناه آياتنا كلها : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنهما رسولين إليه من رب العالمين.

من أرضنا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها.

بسحرك ياموسى : يشير إلى العصا واليد البيضاء.

مكانا سوى : أي مكان عدل بيننا وبينك ونَصَفٍ، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى مافيها كل ناظر إليها.

يوم الزينة : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.

وأن يحشر الناس ضحى: أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة.

فتولى فرعون : اي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض.

فجمع كيده : أي ذوى كيده وقوته من السحرة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائه من جهة

أخرى فقال تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ أي أرينا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾[1] أي أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من ﴿قبلنا﴾ أرسلناهما إليه، فكذب برسالتهما وأبى الاعتراف بهما، وقال ماأخبر تعالى به عنه: ﴿قال أجئتنا﴾[2] أي ياموسى ﴿لتخرجنا من أرضنا﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿بسحرك﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿فلنأتينك بسحر مثله، فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ نتقابل فيه، ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾[3] عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجرى فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾[4] أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاورة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه.

٢ ـ للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه.

٣ ـ مشروعية المبارزة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل.

٤ ـ مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ

---

(١) أي: الدالة على وجود الله تعالى ووجوب ألوهيته وعلى صحة نبوّة موسى وهارون.

(٢) لما رأى الآيات وبهرته احتال في دفعها اللعين بدعواه انّ موسى جاء ليخرج فرعون وقومه من بلادهم ليستقل بها دونهم، وهذا من الكذب السياسي الممقوت.

(٣) قرأ حفص (سُوى) كطوى بضم السين، وقرأ نافع (سوى) بكسرها كطوى، والكسر أفصح. أي: وَسطاً في المدينة لايشق على من يأتيه.

(٤) اختار موسى اليوم والساعة، وهي: الضحى لعلمه أنه سيغلب السحرة وينهزمون أمامه، فأحب أن يكون الوقت مناسباً بكثرة المتفرّجين ووضوح الرؤية لهم في شباب النهار (الضحى)

وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا
النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾

شـرح الكلمـات:

ويلكم : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك.

فيسحتكم بعذاب : أي يهلككم بعذاب من عنده.

فتنازعوا أمرهم : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران.

وأسروا النجوى : وهي قولهم: ان هذان لساحران يريدان الخ . . . .

بطريقتكم المثلى : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم.

فأجمعوا كيدكم : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه.

قد أفلح من استعلى : أي قد فاز من غلب.

إما أن تلقي : أي عصاك.

فخيل إليه أنها تسعى: أي فخيل إلى موسى أنها حية تسعى، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل إلى موسى أنها تتحرك.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون

للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفا إياهم علهم يتوبون: ﴿ويلكم[1] لاتفتروا على الله كذباً﴾ أي لا تتقولوا على الله فتنسبوا إليه ماهو كذب ﴿فيسحتكم[2] بعذاب﴾ أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال، ﴿وقد خاب من افترى﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله:

﴿فتنازعوا[3] أمرهم بينهم﴾ وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ أي أخفوا ماتناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿إن[4] هذان لساحران﴾ أي موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ ﴿أي دياركم المصرية، ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى[5]﴾ أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاءا به ويدينون بدينهما، وعليه فأجمعوا أمركم حتى لاتختلفوا فيها بينكم، ﴿ثم ائتوا صفا﴾ واحدا متراصاً، ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي غلب، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون: ﴿ياموسى إما أن تلقي﴾ عصاك، وإما أن نلقي نحن فنكون أول من ألقى. فقال لهم موسى: ﴿بل ألقوا﴾، فالقوا عندئذ ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى (باقي الحديث في الآيات بعد).

---

(١) الويل: الهلاك وهو شبه مصدر، ونصبه إما على تقدير: ألزمهم الله أو على النداء أي: يا ويلهم. كقوله: (ياويلنا من بعثنا).

(٢) سحت وأسحت بمعنى، وأصله من استقصاء الشعر في إزالته قرأ أهل الكوفة: (فيُسحتكم) بضم الياء من أسحت، وقرأ أهل الحجاز بفتح الياء من: سحت قال الشاعر:

وعضر زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلاّ مُسحتا أو مجلّفا

والشاهد في: مسحت من أسحت.

(٣) التنازع: مشتق من جذب الدلو من البئر وجذب الثوب من الجسد والتنازع تفاعل إذ كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه لما يراه من الصواب.

(٤) قراءة الجمهور بكسر إنّ وتشديد النون، ويلغ الخلاف في هذا الحرف أشدّه فبلغوا فيه إلى ستة تخريجات أمثلها: أن (إن) حرف جواب بمعنى نعم قال الشاعر:

ويقلن شيب علا   ك وقد كبرت فقلت إنّه

والشاهد في إنه جواب لما في البيت من كلام، والهاء في إنه هاء السكت، وشاهد آخر وهو: أنّ عبدالله بن الزبير قال لأعرابي استجداه فلم يعطه: إنّ وراكبها. لما قال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقوله: إنّ: أي: نعم وراكبهاأي: ملعون كذلك.

(٥) المثلى: مؤنث: الأمثل، من المثالية التي هي حسن الحال. أراد فرعون إثارة الحمية في قومه ليدافعوا عن عاداتهم وشرائعهم وأخلاقهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة الكذب على الله تعالى، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه.

٢ ـ من مكر الانسان وخداعه[1] أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي إلى الحق.

٣ ـ معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولا من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال. لاسيما في موقف كهذا.

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾

شـرح الكلمـات:

فأوجس في نفسه خيفة: أي أحس بالخوف في نفسه.

أنت الأعلى: أي الغالب المنتصر.

تلقف: أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي

كيد ساحر: أي كيد سحر لابقاء له ولا ثبات.

(١) المراد به الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولقائه ولا يتحلى بالصبر والتقوى.

لايفلح الساحر : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .
فألقي السحرة سجداً : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين.
إنه لكبيركم : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر.
من خلاف : أي يد يمنى مع رجل يسرى.
في جذوع النخل : أي على أخشاب النخل.
أينا أشد عذاباً وأبقى : يعني نفسه ـ لعنه الله ـ ورب موسى اشد عذابا وأدومه على مخالفته وعصيانه .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلأت بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي الغالب القاهر لهم.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٦٧) فأوجس[١] في نفسه خيفة موسى والثانية (٦٨)﴿قلنالا تخف إنك أنت الأعلى﴾ وقوله تعالى: ﴿وألق ما في[٢] يمنيك تلقف ما صنعوا﴾ أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال: ﴿إنما صنعوا كيد[٣] ساحر﴾ أي هو مكر وخدعة من ساحر ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ أي لايفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره. وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيتهم عرفوا أن ماجاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب الغالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾. وهنا صاح فرعون مزمجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال

---

(١) (أوجس): أي احس ووجد أي: خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا.
(٢) لم يقل له: ألق العصا لأنّ فيها إكباراً لشأن العصا وأنها بحق قادرة على إبطال باطل السحرة.
(٣) قرأ الجمهور: (كيد ساحر) وقرأ بعضهم: (كيد سحر) بكسر السين أي: كيد ذي سحر، وكيد: خبر مرفوع، والمبتدأ: ما الموصولية في قوله: (إن ما صنعوا) وصنعوا: صلتها، وكيد: الخبر. وقرىء بنصب كيد على أنّ ما كافة. وكيد معمول لصنعوا.

للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ بذلك ﴿إنه لكبيركم[1]﴾ أي معلمكم العظيم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم معه على الهزيمة. ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجليه، أو العكس ﴿ولأصلبنكم[2] في جذوع النخل﴾ أي لأشدنكم على أخشاب النخل واترككم معلقين عبرة ونكالا لغيركم ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ أي أدومه: رب موسى الذي آمنتم به أو أنا «فرعون عليه لعائن الله»

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لايقدح في الإيمان.

٢ - تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له.

٣ - حرمة السحر لأنه تزوير وخداع.

٤ - قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر.

٥ - شجاعة المؤمن لايرهبها خوف بقتل ولا بصلب.

قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ

---

(١) أراد فرعون بقوله هذا التشبيه على الناس والتمويه حتى لا يتبعوا السحرة فيؤمنوا كإيمانهم لا أنّ موسى استاذهم في السحر وأنه أحذق منهم له وأعلم منهم به.

(٢) حروف الجر تتناوب، والفاء هنا: (في جذع النخل) بمعنى: على. قال الشاعر:

هم صلبوا العبديّ في جذع نخلة   فلا عطست شيبان إلّا بأجدعا

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

لن نؤثرك : أي لن نفضلك ونختارك .

والذي فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئا .

فاقض ما أنت قاض : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا .

والله خير وأبقى : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى .

مجرما : مجرما أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي .

جزاء من تزكى : أي ثواب من تتـطهـر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات :

مازال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (٧٢) ﴿قـالـوا لن نؤثرك﴾ يافرعون ﴿على ماجاءنا من البينات﴾ الدلائل والحجج القاطعة على أن رب[1] موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب . ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين .

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا : ﴿إنا آمنا بربنا﴾ أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمـرنـا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ أي ذنوبنا ، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي من تعلمه والعمل به ، ونحن لانريد ذلك ولا شك أن فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد . وقولهم ﴿والله خير وأبقى﴾

---

(١) روي أن آسيا امرأة فرعون لما بدأت المباراة قالت لهم : أخبروني عمّن يغلب فأخبرت أن موسى وهرون غلبا فقالت: آمنت بربّ موسى وهرون. فامر فرعون باعظم صخرة فإذا أصرّت على قولها فالقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت منزلها في الجنة بعد أن قالت ﴿ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ وخرجت روحها فالقيت عليها الصخرة وهي جسد لا روح فيها استجاب الله لها عليها السلام .

أي خير ثوابا وجزاء حسنا لمن آمن به وعمل صالحاً، وأبقى عذاباً لمن كفر به ويآمن بغيره وعصاه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٧٢) و (٧٣).

أما الآية الثالثة (٧٤) وهي قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً[1]﴾ أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي ﴿فإن له[2] جهنم لايموت فيها[3]﴾ فيستريح من العذاب فيها، ﴿و لايحيى﴾ حياة يسعد فيها.

وقولهم﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾أي مؤمناً به كافراً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي ﴿فأولئك[4] لهم﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿الدرجات العلى جنات عدن﴾ أي في جنات عدن ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لايموتون ولا يخرجون منها، ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب. لاشك أن هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذ أقاموا بينهم زمناً طويلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - لايؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا أحمق جاهل.

٢ - تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.

٣ - الاكراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لايطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لايغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.

٤ - بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

---

(١) المجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية، والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: الكافر غالباً.

(٢) اللام في: له جهنم لام الاستحقاق أي: هو صائر إليها لا محالة.

(٣) لا يموت فيها ولا يحيى، لأن عذابها متجدد فيها فلا هو ميّت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأنه في حالة الموت أهون منها، وهذا كقول عباس بن مرداس:

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَءٍ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

(٤) (فأولئك..) الآية أوتي باسم الإشارة إلى أنهم أحياء بهذا النعيم في جنات ويؤكده قوله (ذلك جزاء من تزكى).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

شـــرح الكلمـات :

ان أسر بعبادي : أي سر ليلاً من أرض مصر

طريقاً في البحر يبساً : طريقاً في وسط البحر يابساً لا ماء فيه

لا تخاف دركاء : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخشى غرقاً

فغشيهم من اليم : أي فغطاهم من ماء البحر ماغطاهم حتى غرقوا فيه .

وأضل فرعون قومه : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين .

وما هدى : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله : ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ .

جانب الطور الأيمن : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا .

المن والسلوى : المن : شيء أبيض كالثلج ، والسلوى طائر يقال له السماني.[1]

ولا تطغوا فيه : أي بالإسراف فيه ، وعدم شكر الله تعالى عليه .

(١) السُّماني : بضم السين، وفتح النون ممدودة، والجمع سمانيات والواحدة سماناة كمناجاة: نوع من الطيور.

ثم اهتدى : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت.

معنى الآيات :

إنه بعد الجدال الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ وبأي شيء أوحى إليه. بالسرى ببني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ قوله ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾[1] أي اجعل لهم طريقاً في وسط البحر، وذلك حاصل بعد ضربه البحر بالعصي فانفلق البحر فرقتين والطريق وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو اسرائيل البحر، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأتبعهم[2] فرعون بجنوده فغشيهم من اليم﴾ أي من ماء البحر ﴿ماغشيهم[3]﴾ أي الشيء العظيم من مياه البحر. وقوله لموسى ﴿لاتخاف[4] دركاً ولا تخشى﴾ أي لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى غرقا في البحر.

وقوله تعالى: ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى[5]﴾ إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه، ودعاهم إلى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما إهتدوا، وكان يزعم أنه مايهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب.

وقوله تعالى: ﴿يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ أي فرعون، ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ أي مع نبينا موسى لانزال التوراة لهدايتكم وحكمهم بشرائعها، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه، ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أي قلنا لكم: كلوا من طيبات مارزقناكم من حلال الطعام والشراب، ﴿ولا تطغوا فيه﴾ بترك

---

(١) اليبس: محرّك الياء والباء، وتسكن الباء أيضاً: وصف بمعنى اليابس وأصله مصدر كالقدم، والعدم بفتح العين وضمها.

(٢) قرىء: (فأتبعهم) وبالياء في بجنوده للمصاحبة فهي بمعنى مع أي مع جنوده.

(٣) ما غشيهم في هذا تهويل عظيم لما غشيهم من الماء الذي غمرهم وغطاهم بحيث يستحيل النجاة معه.

(٤) (دركاً) أي: لحاقاً بك وبمن معك من بني اسرائيل.

(٥) (وما هدى): توكيد لقوله: (فأضل قومه) لأن الهدى ضد الضلال فما دام قد أضلهم فإنه ما هداهم كقوله: (أموات غير أحياء) وكقول الشاعر:

إما ترينا حفاة لا نعال لنا   إنا كذلك ما نحفى وننتعل

وفي الآية: التهكم بفرعون إذ قال لهم: وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.

الحلال إلى الحرام وبالأسراف في تناوله وبعدم شكر الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي أن أنتم طغيتم فيه. ﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ أي ومن يجب عليه غضبي ﴿فقد هوى﴾ أي في قعر جهنم وهلك.

وقوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[1] يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم فآمن وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لايقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي.

٢ - آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.

٣ - تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلهم يشكرون فيتوبون فيسلمون.

٤ - تحريم الإسراف والظلم، وكفر النعم.

٥ - الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا كصفات المحدثين.

۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ

(١) ثم اهتدى بأن لزم طريق الهداية حتى مات على ذلك أما من تاب وعمل صالحاً ثم ضل بعد ذلك ومات على ضلالة، فلا يناله هذا الوعد ففي قوله: (ثم اهتدى) احتراس ممن يتوب ثم يعود فيموت على غير هداية.

ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

شـرح الكلمـات :

وما أعجلك : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم .

هم على أثري : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني .

وعجلت إليك ربي لترضى : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني .

قد فتنا قومك : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل .

وأضلهم السامري : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى .

غضبان أسفاً : أي شديد الغضب والحزن .

وعداً حسناً : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا .

أفطال عليكم العهد : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوما .

فأخلفتم موعدي : بتركم المجيء بعدي .

بملكنا[1] : أي بأمرنا وطاقتنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على انجاز الوعد بالسير وراءك .

---

(١) ميم ملكنا مثلثة تفتح وتضم وتكسر والمعنى واحد كما في التفسير أي : لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا .

أوزاراً	: أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن .
فقذفناها	: أي القيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام .
ألقى السامري	: السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة[1] الإسرائيلية ، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ألقاه أي قذفه على الحلي .
عجلاً جسداً	: أي ذا جثة
له خوار	: الخوار صوت البقر
فنسي	: أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه .
ألا يرجع إليهم قولا	: أنه لايكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار.

معنى الآيات :

بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني اسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوراة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن، واستعجل[2] موسى في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى لقومه بعده وهو لايدري فلما قال تعالى لموسى : ﴿وما أعجلك﴾ عن المجيء وحـدك دون بني إسرائيل مع ان الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله

(١) نفى بعضهم أن تكون هناك قبيلة من بني اسرائيل تدعى السامرة وإنماالسامرةأمة من سكان فلسطين في جهة نابلس قبل أن تكون فلسطين لبني اسرائيل، ثم امتزجوا ببني اسرائيل لما دخلوها واتبعوا معهم شريعة موسى، وبما أن السامري كان في مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامري لم يكن من بني اسرائيل أصلا ومحتداً ثم بمرور الأيام وجدت طائفة من بني اسرائيل تدعى السامرية، وهي عبارة عن طريقة ضالة تنتمي إلى شريعة التوراة وهي منحرفة فنشأت عن فتنة السامري الأولى كالطرق المنحرفة لدى المسلمين.

(٢) لهذا الاستعجال لامه ربّه وعتب عليه في قوله: (وما أعجلك من قومك يا موسى) حتى تركتهم وجئتنا وحدك، وقد ترتب على هذا الاستعجال شرّ كبير باتخاذ بني اسرائيل عجلاً عبدوه دون الله تعالى، ولذا قيل: تأنّ ففي العجلة الندامة وفي التأني السلامة.

﴿هم أولاء على أثـري[1]﴾ آتون بعدي، وعجلت المجيء إليك لترضى عني. هنا أخبره تعالى بماحدث لقومه فقال عز وجل: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أي بصنع العجل لهم ودعوتهم إلى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه. ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي حزينا إلى قومه فقال لهم بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال ياقوم[2] ألم يعـدكم ربكم وعـداً حسنـاً﴾ فذكرهم بوعد الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبـادة العجـل والخـلافات الشديدة بينهم، وقوله ﴿أفطال عليكم[3] العهد﴾ أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوما فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى، قوله ﴿أم أردتم أن[4] يحل عليكم غضب من ربكم﴾ أي بل أردتم بصنيعكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحـل بكم، ﴿فأخلفتم موعدي[5]﴾ بعكوفكم على عبادة العجل وترككم السير على أثرى لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم.

وقوله تعالى ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ هذا ما قاله قوم موسى كالمعتذرين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وماضللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن موسى أخطأ الطريق إليه. هذا معنى قولهم: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي بأمرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوبين على أمرنا.

وقولهم: ﴿ولكنا حملنا أوزاراً[6] من زينة القوم فقذفناها﴾ هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم،

(١) أثري، وإثري: لغتان، والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف، والمعنى: هم سائرون على مواضع أقدامي وقرىء (إثري) بكسر الهمزة والجمهور قرؤا بالفتح.

(٢) هذا ابتداء كلام يحمل اللوم والعتاب والتأديب حيث جمع موسى بني اسرائيل وفيهم هارون وخاطبهم قائلا: يا قوم... الخ.

(٣) الاستفهام تابع للاستفهام الأول: ألم يعدكم، وهو للتقرير والإنكار معاً.

(٤) (أم) بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٥) المراد من موعده إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

(٦) الأوزار: جمع وزر، وهو الحمل الثقيل والمراد بها: الحلي الذي استعاره نساؤهم من جاراتهن القبطيات بمصر بقصد الفرار به للنفع الخاص، وخافوا تلاشي الحلي فرأوا أن يصوغوه في قطع كبيرة يحفظ بها من الضياع.

وأصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم إلى القدس، وتم إنجاؤهم واغراق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمرة هارون أخيه على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلى الذي عندكن لا يحل لَكُنَّ أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النهار لتحترق ولا ينتفع بها بعد، هذا مادل عليه قولهم ﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي قوم فرعون فقذفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى ﴿فكذلك ألقى السامري﴾[1] هو من جملة قول بني إسرائيل لموسى فكما ألقينا الحلي في الحفرة القى السامري ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً[2] له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلهكم وإله موسى الذي ذهب إلى موعده فنسي[3] وضل الطريق إليه فاعبدوه حتى يأتي موسى. قال تعالى موبخاً إياهم ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً﴾ إذا كلموه، ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا﴾ فكيف يعقلون أنه إله وهو لا يجيبهم إذا سألوه، ولا يُعطيهم إذا طلبوه، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

١ ـ ذم العجلة وبيان آثارها الضَّارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام.

٢ ـ مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يجب أن يتقرب به إليه.

٣ ـ مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه.

٤ ـ مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل.

٥ ـ وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر.

---

(١) أي: فمثل قذفنا الزينة في النار لصوغها قذف السامري، وقالوا هذا اعتذاراً منهم لموسى عليه السلام.

(٢) الجسد: الجسم ذو الأعضاء وسواء كان حياً أو ميتا، والتعبير بأخرج الإشارة إلى أن السامري صنع العجل بحيلة مستورة خفية حتى أتمّه ثمّ أظهره أي: أخرجه ظاهراً لنا.

(٣) إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ في اللغة.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾

شـــرح الكلمـــات:

فتنتم به : أي ابتليتم به أي بالعجل.

لن نبرح عليه عاكفين: أي لن نزال عاكفين على عبادته.

إذ رأيتهم ضلوا : أي بعبادة العجل واتخاذه الهاً من دون الله تعالى.

لا تأخذ بلحيتي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يجره إليه يعذله ويلوم عليه.

ولم ترقب قولي : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقوله تعالى: ﴿ولقدقال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم العجل ياقوم إن العجل ليس إلهكم ولا إله موسى وإنما هو فتنة فتنتم به ليرى الله تعالى صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله، وليرى خلاف ذلك فيجزي كلاً بما يستحق وقال لهم: ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها

﴿فـاتبعـوني﴾ في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ﴿وأطيعوا أمري﴾[1] فإني خليفة موسى الـرسـول فيكم فأجاب القوم الضالون بما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أي لن نزول عن عبادته والعكوف حوله ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾[2]. ولما سمع موسى من قومه ما سمع التفت إلى هارون قائلا معاتباً عاذلاً لائماً ﴿ياهرون ما منعك[3] إذ رأيتهم ضلوا﴾ أي بعبادة العجل ﴿ألا تتبعني﴾ أي بمن معك من المسلمين وتترك المشركين، ﴿أفعصيت[4] أمري﴾، ومن شدة الوجد وقوة اللوم والعذل أخذ بشعر رأس أخيه بيمينه وأخذ بلحيته بيساره وجره إليه وهو يعاتبه ويلوم عليه فقال هارون: ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ إن لي عذراً في عدم متابعتك وهو اني خشيت إن أناأتيتك ببعض قومك وهم المسلمون وتركت بعضاً آخر وهم عباد العجل ﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾ وذلك لا يرضيك. ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي ولم تنظر قولي فيما رأيت في ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ودنياه.

٢ - جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه.

٣ - جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا.

٤ - قد يخطىء المجتهد في اجتهاده وقد يصيب.

---

(١) أي: لا أمر السامر أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه.

(٢) روي أنّه لما قالوا هذه المقالة اعتزلهم هارون في اثنى عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال: هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله وقال: يا هارون... الآية.

(٣) الاستفهام إنكاري إذ أنكر عليه عدم متابعته لما شاهد القوم يعبدون العجل إذكان المفروض أن يتركهم ويلحق بموسى يخبره.

(٤) أمره هو قوله له عند مغادرة بني اسرائيل إلى جبل الطور، (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيا حكمه كحكمهم، وفي هذه الآية دليل على بدعة الصوفية بدعة الرقص والتواجد، وأنها موروثة عن هؤلاء السامريين عَبَدة العجل والعياذ بالله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شــرح الكلمـات :

فما خطبك : أي ما شأنك وماهذا الأمر العظيم الذي صدر منك.

بصرت بما لم يبصروا به : أي علمت من طريق الإبصار والنظر مالم يعلموا به لأنهم لم يروه.

قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام.

فنبذتها : أى القيتها وطرحتها على الحلى المصنوع عجلاً.

سولت لي نفسي : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل.

أن تقول لا مساس : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك.

إلهك : أي العجل.

ظلت : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه.

في اليم نسفاً : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً.

إنما إلهكم الله : أي لا معبود لكم إلا الله الذي لا إله إلا هو.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامري المنافق إذ هو من عُبَّاد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل، ولما اتيحت له الفرصة عاد إلى عبادة البقر فصنع العجل وعبده ودعا إلى عبادته فقال له: في غضب ﴿فما خطبك ياسامري﴾ أي ماشأنك وما الذي دعاك إلى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر ﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي علمت مالم يعلمه قومك ﴿فقبضت قبضة من أثر﴾ حافر فرس ﴿الرسول[1] فنبذتها﴾ في الحلي المصنوع عجلاً فخار كما تخور البقر. ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ ذلك أي زينته لي وحسنته ففعلته، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال فاذهب[2] فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس[3]﴾ أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لتتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لايرقب في ذلك، بل لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحد حُمّا معاً أي أصابتهما الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها. وقوله له: ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾، أي ذاك النفي والطرد عذاب الدنيا، وإن لك عذاباً آخر يوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آت وواقع لا محالة.

وقوله: أي موسى للسامري: ﴿وانظر إلى الهك﴾ المزعوم ﴿الذي ظلت[4] عليه عاكفاً﴾ تعبده لا تفارقه، والله ﴿لنحرقنه ثم[5] لننسفنه في اليم نسفاً﴾ وفعلاً حرقه ثم جعله كالنشارة

---

(١) الرسول هنا: جبريل عليه السلام قاله جمهور المفسرين، وقالوا: إنّ السامري فتنه الله تعالى فأراه جبريل راكباً فرساً فوطىء حافر الفرس مكاناً فإذا هو مخضرّ بالنبات، فعلم السامري أن أثر فرس جبريل إذا ألقي على جماد صار حياً، فقبض من تراب وطئه حافر الفرس واحتفظ به إلى اليوم، ولما صنع العجل ألقاه عليه فصار له خوار كالعجل الحيوان.

(٢) نفاه موسى عن قومه، وأمر بني اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له. قال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا تريد السامري مِساسا

هذه المسألة أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألاّ يُخالطوا وقد فعل النبي ﷺ ذلك بالذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

(٣) (لا مساس): المساس مصدر ماسه يماسه ومساسا. ولا: نافية للجنس ومساس: اسمها مبني على الفتح.

(٤) ظلت: أي: دمت وأقمت عليه عاكفاً أي: ملازماً وأصل ظلت: ظللت قال الشاعر:

خلا أنّ العتاق من المطايا أحَسْن به فهن إليه شوس

فأحسن أصله: أحسسن حذفت إحدى السينين كما حذفت إحدى اللامين.

(٥) النسف: نقض الشيء ليذهب به الريح، وهو: التذرية، والمنسف آلة ينسف بها الشيء، والنسافة: ما يسقط منه.

وذره في البحر تذرية حتى لا يعثر له على أثر، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين: ﴿إنما إلهكم﴾ الحق الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿الله الذي لا إله إلا هو[1] وسع كل شيء علماً﴾ أي وسع علمه كل شيء فهو عليم بكل شيء وقدير على كل شيء وماعداه فليس له ذلك وما لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع . . ؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له .

٢ ـ ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئا إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له ،

٣ ـ قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

٤ ـ مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه .

٥ ـ كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

شـرح الكلمات :

كذلك : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل.

من لدنا ذكراً : أي قرآناً وهو القرآن الكريم .

---

(١) لا العجل الذهبي الذي سولت نفس السامري الخبيثة صنعه .

من أعرض عنه : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.
وزراً : أي حملاً ثقيلاً من الآثام.
يوم ينفخ في الصور : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.
زرقا : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.
يتخافتون بينهم : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول.
أمثلهم طريقة : أي أعدلهم رأياً في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفزع.

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون، وبين موسى وبني اسرائيل قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿كذلك نقص[1] عليك﴾ أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك، وعبرة وذكرى للمؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا[2]﴾ أي وقد أعطيناك تفضلا منا ذكرا وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ربه ويهتدي به إلى سبيل النجاة والسعادة، وقوله ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي اثمًا عظيما لأنه لم يعمل صالحاً وكل عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه، ﴿خالدين فيه﴾أي في ذلك الوزر في النار، وقوله ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل يطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾ أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي ﴿يومئذ﴾ أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ﴿زرقا[3]﴾ أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتهامسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كم لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض: ﴿إن لبثتم[4] إلا عشراً﴾ أي ما لبثتم إلا

---

(١) الكاف من كذلك في محل نصب لأنها بمعنى مثل: نعت لمصدر محذوف تقديره: نقص عليك قصصا من أنباء ما قد سبق مثل ما قصصنا عليك هذا القصص.
(٢) ويطلق الذكر على الشرف أيضاً، وعلى ما يذكر به الله تعالى من قول والمراد به هنا القرآن الكريم.
(٣) الزُرَق: خلاف الكَحَل، والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه وسبب هذه الزرقة هو شدة العطش.
(٤) أي: في الدنيا أو في القبور.

عشر ليال، وقوله تعالى: ﴿نحن أعلم[1] بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي أعدلهم رأياً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم مايشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير نبوة محمد ﷺ يقص تعالى عليه انباء ماقد سبق بعد قصه عليه أنباء موسى وفرعون بالحق، وايتائه القرآن الكريم.

٢ - كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.

٣ - سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.

٤ - عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

---

(١) (نحن أعلم بما يقولون): جملة معترضة قول الأولين: (إن لبثتم إلا عشرا) نظروا فيه إلى أن تغير الأجسام يتم في عشرة أيام، والذي قال يوماً نظر إلى أن الأجسام ما تغيّرت إذ قد أعيدت كما كانت.

شـرح الكلمات :

يسألونك عن الجبال : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة.

فقل ينسفها ربي نسفا : أي يفتتها ثم تذروها الرياح فتكون هباء منبثاً.

قاعا صفصفا : أي مستوياً.

عوجا ولا أمتا : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعا.

الداعي : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى.

وخشعت الأصوات : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي.

ورضي له قولا : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً.

ولا يحيطون به علما : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم، وهم لا يحيطون به علمًا.

وعنت الوجوه للحي القيوم: أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.

من حمل ظلما : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.

ظلما ولا هضما : أي لا يخاف ظلما بأن يزاد في سيئاته ولا هضما بأن ينقص من حسناته.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله: ﴿ويسألونك﴾ أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث والجزاء ﴿عن الجبال﴾ عن مصيرها يوم القيامة فقل له[1]: ﴿ينسفها ربي نسفاً[2]، فيذرها[3] قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً[4]﴾ أي أجبهم بأن الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً، فيترك أماكنها قاعا صفصفاً أي أرضاً مستوية لاترى فيها عوجا ولا أمتا أي لا انخفاضا ولا ارتفاعاً. وقوله

---

(١) قال القرطبي كل سؤال في القرآن أجيب بقل إلاّ هذا فبـ: فقل لأن المعنى إن سألوك فقل فتضمن الكلام معنى الشرط، وهو يقترن بالفاء دائما.

(٢) قال ابن الأعرابي وغيره يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملاً يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا أو هكذا ثم كالهباء المنثور.

(٣) (فيذرها): أي: يذر مواضعها قاعاً صفصفاً، القاع: الأرض الملساء لا نبات فيها، ولا بناء عليها وهي مستوية، وجمع القاع: أقواع وقيعان.

(٤) الأمت: المكان المرتفع كالنبك، وهو التل الصغير، والعوج: الوهدة وهي الانخفاض كالعوج في الشيء أي: ليس في الأرض انخفاض ولا ارتفاع بل هي مستوية.

﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾ أي يوم تقوم القيامة فيُنشرون يدعوهم الداعي هلموا إلى أرض المحشر فلا يميلون عن صوته يمنةً ولا يُسرة وهو معنى لا عوج له. وقوله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي ذلت وسكنت ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده ﴿إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ أي يُخبر تعالى انهم يوم جمعهم للمحشر لفصل القضاء لا تنفع شفاعة أحدٌ أحداً إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، ورضي له قولا أي وكان المشفوع فيه من أهل التوحيد أهل لا إله إلا الله وقوله ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم، ولا يحيطون به علمًا﴾ أي يعلم ما بين أيدي أهل المحشر أي مايسيحكم به عليهم من جنة أو نار، وماخلفهم مما تركوه من أعمال في الدنيا، وهم لا يحيطون به عز وجل علمًا، فلذا سيكون الجزاء عادلا رحيمًا، وقوله: ﴿وعنت[1] الوجوه للحي القيوم[2]﴾ أي ذلت وخضعت كما يعنو بوجهه الأسير، والحي القيوم هو الله جل جلاله وقوله تعالى: ﴿وقد خاب﴾ أي خسر ﴿من حمل ظلمًا﴾ ألا وهو الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ والحال أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والبعث الآخر[3] فهذا لايخاف ظلما بالزيادة في سيّآته، ولا هضما بنقص من حسناته، وهي عدالة الله تعالى تتجلى في موقف الحساب والجزاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.

٢ ـ تقرير مبدأ البعث الآخر.

٣ ـ لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يَشفع مشرك، ولا يُشفع لمشرك.

٤ ـ بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

---

(١) ومنه قيل للأسير عانٍ، قال أمية بن الصلت.

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزّته تعنو الوجوه وتسجد

(٢) القيوم: أي: القائم بتدبير الخلق، والقائم على كل نفس بما كسبت.

(٣) والقدر خيره وشرّه.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

شـــرح الكلمـات :

وكذلك أنزلنا : أي مثل ذلك الانزال أنزلنا قرآناً عربياً أي بلغة العرب ليفهموه.

وصرفنا فيه من الوعيد : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروى.

أو يحدث لهم ذكرا : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.

فتعالى الله الملك الحق : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.

ولا تعجل بالقرآن : أي بقرءاته.

من قبل أن يقضى إليك وحيه : أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك.

عهدنا إلى آدم : أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فنســـي : أي عهدنا وتركه.

ولم نجد له عزما : أي حزما وصبراً عما نهيناه عنه.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿وكذلك[1] أنزلناه قرآناً عربيّاً﴾ أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة

---

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق إذ الغرض واحد وهو التنويه بشأن القرآن وتقرير الوحي له ﷺ.

على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهتدوا به ﴿وصرفنا فيه[1] من الوعيد﴾ أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروى لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سببا في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي ﴿أو يحدث لهم[2] ذكراً﴾ أي يوجد لهم ذكراً في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا مادلت عليه الآية الأولى (١١٣).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم، وَمِن ثَمَّ فهو منزَّه عن الشريك والولدوعن كل نقص يصفه به المفترون الكذابون.

وقوله: ﴿ولا تعجل[3] بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ يُعلِّم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل عليه السلام فيرشده إلى أنه لاينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات ولا في إملائها على أصحابها ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه. وطلب إليه أن يسأله المزيد من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علما﴾، وفيه إشعار بأنه دائما في حاجة إلى المزيد، ولذا فلا يستعجل ولكن يتريث ويتمهل، وهذا علماء أمته أحوج إليه منه ﷺ فالاستعجال في الفُتيا وفي إصدار الحكم كثيراً ما يخطىء صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿ولقد[4] عهدنا إلى آدم من قبل فنسي[5] ولم نجد له عزما[6]﴾ يقول تعالى مخبراً رسوله والمؤمنين ولقد وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه ابليس وأن لا يأكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسيا لها غير مبال بها

---

(١) التصريف: التنويع والتفنين، والوعيد هنا للتهديد.

(٢) لعله يحدث لهم ذكراً: فيه بيان أنهم قبل نزول القرآن وسماعه لم يكونوا يذكرون الله في توحيده ولا في وعده ووعيده ولا في شرعه وأحكامه.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه ﷺ على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه تعالى عن ذلك فأنزل: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ وقال الحسن نزلت هذه الآية في رجل لطم وجه امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ لها القصاص فنزل: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ وأبى الله ذلك. ولهذا قال له: ﴿وقل رب زدني علما﴾ وفي هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أن حرصه في حفظ القرآن محمود.

(٤) قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه إبليس.

(٥) العهد المنسي هو ما جاء في قوله تعالى: (فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة) من هذه السورة.

(٦) فسر العزم بالصبر والثبات أمام الإغراء.

وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزيين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لاتأسى ولا تحزن على عدم ايمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه.

٢ ـ اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون.

٣ ـ استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه.

٤ ـ الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم.

٥ ـ التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني.

وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
(١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨)
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١)
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)

شـــرح الكلمـات :

وإذ قلنا للملائكة	: أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.
إلا ابليس أبى.	: أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.
عدو لك ولزوجك	: أي حواء ومعنى عدو أنه لايحب لكما الخير بل يريد لكما الشر.
فتشقى	: أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى.
لا تظمأ فيها ولا تضحى	: أي لاتعطش ولايصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض.
شجرة الخلد	: أي التي يخلد من أكل منها.
وملك لا يبلى	: أي لايفنى ولا يبيد ولازم ذلك الخلود.
فبدت لهما سوءاتهما	: أي ظهر لكل منهما قُبُلَ صاحبه ودُبُرَهُ فاستاءا لذلك.
وطفقا يخصفان	: أي أخذا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما ستراً لسوءاتهما
فغوى	: أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.
فاجتباه ربه فتاب عليه	: أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبداً صالحاً.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لايخرجه هو وزوجه من الجنة، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتمامها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ واذكر ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وسجودهم عبادة لله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه. فامتثلت الملائكة أمر الله ﴿فسجدوا﴾ كلهم أجمعون ﴿إلا ابليس أبى﴾ أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه كان يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١٦).

وقوله تعالى ﴿فقلنا ياآدم﴾ أي بعد أن تكبّر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له ﴿إن هذا﴾ أي إبليس ﴿عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أي فلا تطيعانه

فإن طاعته[1] تكون سبب إخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما، ووجه الخطاب إلى آدم في قوله تعالى: فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة[2] زوجته فهو الذي يشقى دونها، وقوله تعالى لآدم ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ أي في الجنة ﴿ولا تعرى﴾، ﴿وإنك لا تظمأ فيها﴾ أي لا تعطش ﴿ولا تضحى[3]﴾ أي لا تتعرض لحر شمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي ناداه من طريق الوسوسة. ﴿ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد[4] وملك لا يبلى﴾ فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى ﴿فأكلا منها﴾ فترتب على ذلك انكشاف سوءاتهما لهما بذهاب النور الساتر لهما بسبب المعصية لله تعالى وقوله تعالى ﴿فطفقا يخصفان عليهما﴾ من ورق الشجر أي فأخذا يشدان ورق الشجر على عوراتهما ستراً لهما لأن منظر العورة يسوء الآدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة، فبذلك[5] غوى، إلا أن ربه تعالى اجتباه اي نبياً وقربه ولياً ﴿فتاب[6] عليه وهدى﴾ وهداه للعمل بطاعته ليكون من جملة أصفيائه وصالح عباده. والحمد لله ذي الإنعام والإفضال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي.

---

(١) هذا مبدأ: أنّ نفقة الزوجة على زوجها. وأن النفقة الواجبة محصورة في الطعام والشراب والكسوة والسكن.

(٢) قال الحسن: المراد بالشقاء: شقاء الدنيا لا يرى ابن آدم فيها إلاّ ناصباً.

(٣) يقال: ضحيت للشمس ضحاءً: برزت، وضحَيت بفتح الحاء مثله والمضارع اضحى، والأمر إضح، ومنه قول عمر في عرفة لرجل لازم الخيمة إضحَ لمن جئت له.

(٤) روى أبو داود وأحمد أنّ النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد).

(٥) كان هذا قبل النبوة، ومن أذنب مرّة واحدة لا يقال له مذنب ولا غاو ولا سيّما بعد التوبة.

(٦) ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: (حاجّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني قال رسول الله ﷺ فحجّ آدم موسى).

٢ - تقرير عداوة إبليس لبني آدم.

٣ - بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب، وإنما ذلك في الأرض.

٤ - التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُرْدي صاحبها.

٥ - ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية.

٦ - كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال.

٧ - حرمة كشف العورات ووجوب سترها.

٨ - إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه.

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

شـرح الكلمـات:

قال اهبطا منها جميعا : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط.

بعضكم لبعض عدو : أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

فإما يأتينكم مني هدى : أي فإن يأتيكم مني هدى وهو كتاب ورسول.

فمن اتبع هداي : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فلا يضل	: أي في الدنيا
ولا يشقى	: في الآخرة
ومن أعرض عن ذكري	: أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه .
معيشة ضنكا	: أي ضيّقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة .
أعمى	: أي أعمى البصر لا يبصر .
وقد كنت بصيرا	: أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث .
قال كذلك	: أي الأمر كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم .
وكذلك نجزي من أسرف	: أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد ، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى .
أشدوأبقى	: أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصة آدم إنه لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه ﴿ألم أنهكما[1] عن تلكم الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ . وأنزل على آدم كلمة[2] التوبة فقالها مع زوجه فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك قال ﴿اهبطا منها[3]﴾ أي من الجنة ﴿جميعاً﴾ إذ ابليس العدو قد أُبْلِس من قبل وطُرد من الجنة فهبطوا جميعاً . وقوله : ﴿فإمّا يأتينكم مني هدىً﴾ أي بيان عبادتي تحمله كتبي وتبينه رسلي ، ﴿فمن اتبع هداي﴾ فآمن به وعمل بما فيه ﴿فلا يضل﴾ في حياته ﴿ولا يشقى[4]﴾ في آخرته

(١) هي قوله تعالى : (قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) من سورة الأعراف وأخبر تعالى عنها في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ .

(٢) الآية من سورة الأعراف .

(٣) الخطاب لآدم وإبليس وحواء تابعة لزوجها بقرينة : ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وتلا هذه الآية .

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإن له﴾ أي جزاءً منا له ﴿معيشة ضنكاً[1]﴾أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يبصر به. وقد يعجب لحاله ويسأل ربه ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت﴾ في الدنيا وفي البعث ﴿بصيرا﴾ فيجيبه ربه تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك كنت بصيراً وأصبحت أعمى لأنك ﴿أتتك آياتنا﴾ تحملها كتبنا وتبينها رسلنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضا عنها فاليوم تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (١٢٧) ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في حياته الدنيا وفي البرزخ ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾[2] من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم حيث لاينقضي ولا ينتهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عداوة الشيطان للإنسان.

٢ ـ عِدَةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لايضل في حياته ولا يشقى في آخرته.

٣ ـ بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.

٤ ـ التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا

(١) (ضنكا) أي: ضيّقا، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال عنترة.
إن يُلحقوا أكرر وإن يستلحموا   أشدد وإن يُلفوا بضنك أنزل

(٢) أي: من المعيشة الضنك.

تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾

شـرح الكلمـات :

أفلم يهد لهم	: أي أفلم يُبيّنْ لهم .
من القرون	: أي من أهل القرون .
لآيات لأولى النهى	: أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل .
ولولا كلمة سبقت	: أي بتأخير العذاب عنهم .
لكان لزاما	: أي العذاب لازما لايتأخر عنهم بحال .
مايقولون	: من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات .
ومن آناء الليل	: أي ساعات الليل واحدها إِنْيٌ أو إِنْوٌ .
لعلك ترضى	: أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به .
إلى ما متعنا به أزواجا منهم	: أي رجالاً منهم[1] من الكافرين .
زهرة الحياة الدنيا	: أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ماتذبل وتذوى .
لنفتنهم فيه	: أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون .
والعاقبة للتقوى	: العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى .

معنى الآيات :

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى ﴿أفلم يهد﴾ لأهـل مكة المكذبين المشركين أي أَغَفلوا فلم يهد لهم أي يتبين ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي اهلاكنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين

(١) أزواجاً : رجالاً ونساءً لأنّ الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لأجل الدلالة على العائلات والبيوت أي : إلى ما متعناهم به من مال وبنين .

كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الإهلاك للقرون الأولى ﴿لآيات﴾ أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، ﴿لأولى النهى﴾ أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت[1] من ربك﴾ بأن لا تموت نفس حتى تستوفي أجلها، وأجل مسمىً عند الله في كتاب المقادير لايتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان. وعليه ﴿فاصبر﴾ يارسولنا ﴿على مايقولون﴾ من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح ﴿قبل طلوع الشمس﴾ وهو صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ وهو صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل[2]﴾ أي ساعات الليل وهما صلاتـا المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني[3] وذلك عند زوال الشمس، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك.

وقوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي لا تتطلع ناظراً ﴿إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ أشكالا في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم ﴿زهرة[4] الحياة الدنيا﴾ أي من زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم في ذلك الذي متعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى: ﴿ورزق ربك﴾ أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة ﴿خير وأبقي) خيراً في نوعه وأبقى في مدته، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك[5] بالصلاة واصطبر عليها﴾ أي من أزواجك وبناتك وأتباعك

---

(١) فيه تقديم وتأخير، الأصل: ولولا كلمة سبقت وأجل مسمّى لكان لزاماً. أي لكان العذاب لازماً لهم.

(٢) العتمة. واحد الآناء: أنيٌ وإنى وأنى.

(٣) قال مجاهد: الأغنياء منهم، وبهذا يشمل النساء والرجال إذ كل منهما زوج فرجح هذا أنّ أزواجاً: مفعول به، ولا يتنافى هذا مع ما في التفسير لأنّ قولنا: أشكالاً في عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم يعني: منطقاً الرجال الأزواج.

(٤) (زهرة) منصوب على الحال من الموصول. والزهرة: واحدة الزهور وهو نور الشجر والمراد هنا: الزينة المعجبة المبهرة في النساء والبنين والأنعام والبساتين والجنان.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ وجميع أمّته تابعة له في ذلك فكلّ مؤمن يجب عليه أن يقيم الصلاة وأن يأمر أهله بذلك ويصبر. روي أنه لما نزلت هذه الآية كان ﷺ (يذهب إلى بنته فاطمة كل صباح وقت الصلاة) وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثّل بالآية: وكان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ: ﴿ولا تمدّن عينك..﴾ الآية.

المؤمنين بالصلاة ففيها الملاذ وفيها الشفاء من آلام الحاجة والخصاصية واصطبر عليها واحمل نفسك على الصبر على إقامتها. وقوله ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أي لا نكلفك ما لاً تَعْطِيناه ولكن تكلف صلاة فأدها على أكمل وجوهها. ﴿نحن نرزقك﴾ أي رزقك علينا، ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى من عبادنا وهم الذين يخشوننا فيؤدون ما أوجبنا عليهم ويجتنبون ماحرمنا عليهم رهبة منا ورغبة فينا. هؤلاء لهم أحسن العواقب ينتهون إليها نصر في الدنيا وسعادة في الآخرة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره.

٢ ـ بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.

٣ ـ وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.

٤ ـ بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها.

٥ ـ وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممتحنون به.

٦ ـ وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق إنتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.

٧ ـ وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.

٨ ـ فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

٩ ـ إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم.

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

شرح الكلمات :

لولا [1] : أي هَلاَّ فهي أداة تحضيض وحث على وقوع مايذكر بعدها.

بآية من ربه : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته.

بينة ما في الصحف الأولى: أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسلهم.

من قبله : من قبل ارسالنا رسولنا محمد ﷺ وانزالنا كتابنا القرآن.

من قبل أن نذل ونخزى : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.

متربص : أي منتظر ما يؤول إليه الأمر.

فستعلمون : أي يوم القيامة.

الصراط السوي أي الدين الصحيح وهو الإسلام.

ومن اهتدى : أي ممن ضل نحن أم أنتم.

معنى الآيات :

مازال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجالاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصروا على الشرك والتكذيب ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾ [2] أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبوتـه ورسالته إلينا. فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة: ﴿أو لم تأتهم بَيِّنة ما في الصحف الأولى؟﴾ [3] أيطالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرآن الكريم فعرفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم فما [4] يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما

---

(١) لولا : أداة تحضيض وجملة : (أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) حالية أي : قالوا ذلك، والحال أنها أتتهم بيّنة ما في الصحف الأولى، فالاستفهام إنكاري، والبيّنة : الحجة، والصحف: كتب الأنبياء السابقين كقوله تعالى : (إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى).

(٢) أي : لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة كناقة صالح وعصا موسى أو هلّا يأتينا بالآيات التي نقترحها كتحويل جبال مكة.

(٣) هذه البيّنة هي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم، محمد أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وقد جاء بما لم يأت به غيره من العلوم والمعارف والقرآن الكريم حوى علوم الأولين وقصصهم، وكل علم نافع في الحياتين فأيّة آية أعظم من هذه الآية، كما قال تعالى : ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاباً يتلى عليهم﴾؟!

(٤) قال القرطبي : فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم كحال أولائك.

أهلك المكذبين من قبلهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (١٣٤) ﴿ولو أنا أهلكناهم[١] بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه : ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ فيما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزى هذا الخزي في نار جهنم . فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لايؤمنون ويتبعون آيات الله فيعملون بما جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه ﴿قل كل متربص[٢]﴾ أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا﴾ ، فستعلمون في نهاية الأمر وعندما توقفون في عرصات القيامة﴿من﴾ هم ﴿أصحاب الصراط السوي[٣]﴾ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق ، ﴿ومن اهتدى﴾ إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخسر وهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته .

٢ ـ الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح .

٣ ـ في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : «يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة : الهالك في الفترة ، والمغلوب على عقله ، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا انتفع به ، ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسـول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك ، وقرأ ﷺ ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لاأعقل . قال فترفع لهم نار ويقال لهم : رِدُوها قال فَيَرِدُها من كان في علم الله أنه سعيد ، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم» . رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ .

---

(١) هذه الآية دليل على أنّ الإيمان بوحدانية الله تعالى مما يقتضيه العقل وتوجبه الفطرة لولا حجب الضلالات وإغواء الشياطين للناس .

(٢) هذا جواب عن قولهم : ﴿لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ وما بينهما اعتراض والتربّص : الانتظار .

(٣) بمعنى المُسْتوي وهو مأخوذ من التسوية .